الإرهاب الإعلامي
على الوطن العربي

ماجد العبيد

الإرهاب الإعلامي على الوطن العربي

تقديم د.أحمد طحان

دار المعرفة
بيروت ـ لبنان

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار المعرفة بيروت ـ لبنان

Copyright© All rights reserved
Exclusive rights by Dar El-Marefah Beirut – Lebanon.

ISBN 9953-446-54-7

الطبعة الاولى
1426 هـ 2005 م

DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

جسر المطار ـ شارع البرجاوي ـ ص.ب: ٧٨٧٦ ـ هاتف: ٨٣٤٣٠١ ـ ٨٥٨٨٣٠ ـ فاكس: ٨٣٥٦١٤ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge, P.O.Box: 7876, Tel: 834301, 858930, Fax: 835614, Beirut-Lebanon
http//:www.marefah.com E.mail: info@marefah.com

الإرهاب الإعلامي
على الوطن العربي

الإهداء

إلى أصحاب القرار في إدارة الإعلام العربي والعالمي:
كفى استخفافاً بأثر سمومكم على عقول الأجيال
وأرواحهم فقد طفح الكيل ولا كيل!!

المقدمة

كفى رقصاً حضرات السادة القائمين على الإعلام العربي!!

د. أحمد طحان

الإعلام من حيث الأثر على المتلقي نوعان: إعلام إنساني النزعة وهو ما نتوخاه ونأمل لتحقيق البعض منه في وسائلنا العربية الحالية. وإعلام شيطاني النزعة يوجه المجتمعات لصالح الأمركة، وهو ما نتوخى كشف خطورته ونأمل بتقليص فضائه. ويتحول الإعلام في هذا المفهوم إلى سلاح رئيس في معارك الانتشار الدولي.

لقد تمادى الإعلام العربي، والمرئي منه خصوصاً، بفضح المرأة وتحويلها إلى سلعة رخيصة تتبدى قيمتها في الكاباريهات وعلى الشواطئ وفي الإيحاءات الجنسية المقززة للذوق الإنساني السليم. وتحوّل ذلك التمادي إلى سباق محموم بين القنوات الفضائية، فأنت لا تشاهد إلا في النادر قناة فضائية بعيدة عن التحريض على الرذيلة وذلك بهدف جلب الإعلانات وجلب المشاهدين من أجل الإعلانات وبهدف الاستمرار في طحن الأجيال وإقصائهم عن قضايا مجتمعاتهم الحقيقية، وذلك تحقيقاً لأهداف شيطانية رسمتها العقلية الصهيونية المعادية للجنس البشري وتأكيداً لهيمنة الاتجاه الجبري للعولمة الأمريكية المتمكنة من رسائل الإعلام بشكل مطلق.

ألا يُعدّ من العار أن نشاهد القدود العارية على معظم القنوات الفضائية العربية وبجانبها نشاهد دماء القتلى الفلسطينيين في جباليا وبغداد

وأفغانستان ودمشق وطابا وسيناء وما أدراك ما سيناء. هذا العار في العرض الفضائي العربي لا يوازيه إلا المشاركة في القتل الإرهابي والتشفي من دماء الأطفال العرب الذين يسقطون كل ساعة بقذائف الدبابات الإسرائيلية والأمريكية. هذا مثال واحد فقط.

قد تطالب الأجيال العربية المتضررة من سفاهة هذه الفضائيات، بمحاكمة القتلة على جبهات الحرب والقتلة الإعلاميين الذين دخلوا بيوتنا ووصلوا إلى غرفنا المقفلة حيث أعراضنا وأبنائنا وأمل المستقبل. هؤلاء المموّلون للإعلام الهادف للربح المادي والخسارة الحضارية والوقوع في الفخ المعادي، ولا أبالغ، يقتلوننا في بيوتنا، يزوّرون الحقائق الإنسانية في مجتمعاتنا بتغليب الإيحاءات الجنسية الساقطة على المعاني الجوهرية للحياة، وهم بذلك يروّجون لمشروع مادي جهنمي من حيث لا يدركون.

الإعلام الساقط ينهل من الثقافة الساقطة للمجتمعات، وحيث أننا في أمة مهزومة تنازلت عن دورها الحضاري، وقبلت بالعبودية للأمم الأخرى وللمفاهيم الثقافية الأخرى وبخاصة للمفاهيم المادية، فقد نقل هذا الإعلام الجزء الساقط من الحضارة المادية، ثم تمادى فيه، لاغياً الأجزاء الفاعلة من تلك الحضارة كالعلم والإنتاج والتحضر الإنساني، حتى خدعت الأجيال العربية من الأطفال حتى الكهول بهذا التزوير المشين. وصار همّه أن يسرق نظرة لنهد أو أن يختلي مع الشاشة لبقية الأجزاء.

ستة آلاف سنة على الأقل هي عمر الوعي الحضاري الإنساني، وأربعة آلاف سنة مرّت على البشرية بمصلحيها وأنبيائها وعلمائها وشعرائها حتى أدركت مفاهيم الله والكون والحياة، وهي المفاهيم التي مهدت للحضارة الحالية، وبلورت رغبات الإنسان العاطفية والجسدية بين القيود والضوابط ليظل هذا الإنسان إنساناً متميزاً عن الحيوانات الضالة.

وحتى لا تضيع هذه الآلاف من السنين تحت سنابك خيل الأمركة والمشروع الصهيوني لابد للإعلام العربي من الصحوة ورفض المسير الأعمى في معركة القضاء على الذات، ولهم أن يراجعوا بنود ميثاق الشرف الذي وقعوه في جدّة عام ١٩٨٨م والذي منه: تقع على عاتق الإعلام مسؤولية خاصة إزاء الإنسان المسلم بأن يقدم له الحقيقة الخالصة وأن يلتزم الإعلاميون بالجهاد ضد الاستعمار والعدوان وبالجهاد ضد إسرائيل وبالتمسك بالأصالة وحماية الأجيال من الأفلام والبرامج السيئة.

لقد توصّلت البشرية إلى الله وعبدته عبادة متراوحة أسعدت البشرية إلى حد ما حتى جاءتنا النهضة الأوروبية متخذة لنفسها آلهة غير الإله الذي نعرف، فهي تعبد المال حيناً ثم تعبد العلوم والتقنيات حيناً، وهي مع كل العبادات تعبد الشهوات والحريات المطلقة، وإلى أي جهة تحوّلت في أوروبا أو أمريكا وإلى حد ما في بلادنا تجد لهذه الآلهة عباداً ومنظرين بل وفلاسفة وكتاب وناشرين وإعلاميين، والإعلاميون هم أخطر جنود هذه الآلهة على الإطلاق.

في مجتمعات الآلهة الحديثة، بعد أن انهزم العرب وتخلّو عن دورهم الحضاري، وأصبحو يقشرون البصل في مطابخ الأقوياء، أصبحت المعاني المادية هي الهمَّ الحقيقي للمجتمعات، فليس في المرأة على سبيل المثال إلا الشهوة الحمراء والثياب الحمراء والمكياج الأحمر والليالي الحمراء والنقود الحمراء والسيارات الحمراء والقصور الحمراء، ليس في المرأة معنى وقيمة الأمومة ولا الإنتاج ولا الصبا ولا التعليم ولا المساهمة في بناء الأسرة، ليس في المرأة بنظر هؤلاء الموهومين إلا النهود والقدود ورقصات القرود والكلمات البذيئة والسقوط في الفيديو كلب وعلى

خشبات المسارح وبين أحضان الساقطين وليس في الحياة بنظر الإعلام الساقط إلا الإنتاج المادي والربح مهما كان الثمن والخمر لراحة البال والسفريات للمتعة والانتحار إذا فشل الحب والمخدرات إذا نجحت الصفقة مع المافيا... والقائمة الإعلامية المهترئة عندنا، نقلاً عنهم، طويلة مؤلمة.

في مجتمعات الآلهة المذكورة أصبح همّ الإنسان أن يعمل ويربح ويسيطر ويقوى ويحارب، ثم يصنع أدوات الدمار، ثم يفاخر بقوته ويدّعي بأنه هو رب الكون، ثم يأتيه المرض، السل أو الإيدز أو السرطان، فتحلل خلاياه ويتلاشى كما يتلاشى الهباء المنثور، فيدرك وهو يعاني سكرات الموت أنه كان غبياً في مسعاه لأنه لم يعرف من الحياة إلا جهد الحمار والثور وترك الحياة دون حياة. هو لم يعرف الأمن والسكينة والاطمئنان، هو لم يعرف العظمة لأنه لم يتصل بعظيم السماوات والأرض، الذي لم يؤمن به أصلاً، لم يشترك في بناء أسرة ولا مداعبة طفل ولا البكاء من أجل فقير أو يتيم أو لمنظر الدماء في العراق أو غزّة!.. هو ظن وأخطأ في ظنه أن منتهى الحياة مالٌ يأتي من العمل وشهوة تتحقق مع النساء، وخيال يتمادى مع المسكرات والمخدرات، هو رغم قصره الكبير ونسائه وجواريه صغير جداً في هذه الحياة وقد تناهى فعلاً إلى الصغر ونسيه الزمن لأنه لم يدرك أبعاده.

هذا الصغير في جوهره، الذي عبد المادة، لم يشعر مطلقاً بهدوء القلب وروعة الحب، وقيمة التمازج الطاهر مع سبحات الصبح وأصوات أذان الفجر وكلمات رب الفجر... ولذلك لم يشترك في الحضارة الإنسانية لأن الحضارة الإنسانية لا تستبقي غير الإنسان العارف لربه والذي يُحسن الموازنة بين المادة والروح، الذي يصل إلى ربه كادحاً منتجاً ومؤمناً خالصاً...

على هذه الموازين نقيّم الإنسان، وعلى هذه الموازين نقيم الإعلام، وعلى هذه الموازين تقام المساهمات الإعلامية الناجحة...

اتخذ الغزو الفكري في بلادنا المهزومة شكلاً جديداً بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وسقوط العراق وإعلان الولايات المتحدة قطباً وحيداً لقيادة العالم، هذا الشكل هو الإعلام وبخاصة البث الفضائي. فصاحب مليارات جاهزة يستطيع بسهولة، بالتعاون مع مجموعة من الجميلات، اللبنانيات خصوصاً، وبمساعدة ثلة من الخبراء أن يُطلق محطة فضائية تصبح ناجحة بعد عام من انطلاقتها وتصبح قادرة على تشكيل أفكار وأحلام وتوجهات جزءاً هاماً من المجتمع، المتلهف للتنانير القصيرة وللأفلام الخاصة بالكبار، وللتحاليل السياسية والاجتماعية والعسكرية المصنوعة خصيصاً لمثل هذه المحطات التي يمولها ملياردير (لأسباب غامضة) وتديرها الجميلات!!

هذا البث الفضائي المتنامي بين كل ليلة وضحاها في العالم العربي، هو شكل من أشكال الاستعمار الثقافي الذي يقتحم علينا الحصون وأحياناً نسعى إليه بكل الوسائل والأساليب!

إزاء هذا الغزو هناك قصور واضح لدى العامة كما لدى الواعين المتنوّرين من أبناء الأمة لمقابلته، فهم في الغالب من الفقراء، أصحاب الديون، أصحاب الملفات الكبيرة في دوائر الدولة، أصحاب الشكل المرفوض بجانب جميلات الفضائيات العربية وهنا تكمن المفارقات في حياة الأمم. فالسلاح بيد أصحاب المال والقرار، والدفاع ضد الغزوات بيد العاجزين، ولذلك يتطور المجتمع نحو الأسوأ ويكون الإعلام غازياً حقيقياً في هذا الأسوأ.. حيث أنه يلتقي مع أفكار وأيديولوجيات معادية للحضارة الوطنية، وتظل الأفكار والأيديولوجيات الوطنية الحرّة غير قادرة على

غزو عقول الناس. هكذا هو الحال اليوم، وباختصار نحن أمام غزوين: غزو حضاري وعسكري خارجي، وغزو الإعلام الفاجر الذي يقتحم حصوننا من الداخل، ولا بد من التنويه هنا إلى أن الحكومات العربية بعمومها تقف مع الغزوين معاً.

سؤال يُطرح دائماً ويخلط السم بالدسم: لماذا نخاف من الانفتاح الثقافي ومن ثقافات الآخر وبخاصة في الإعلام المستورد من الخارج؟

الجواب لأننا منهزمون، والمنهزم يميل إلى تقديس المنتصر وتقليده. وعلى الهيئات المدنية ومن يتصدى للعمل الإصلاحي الالتفات الجاد إلى محورين إصلاحيين أساسيين هما:

١ - إعادة صياغة مجتمعية بشكل هادف.

٢ - على الحكومات أن تحفظ الأمن الثقافي العربي بكل الوسائل الكفيلة بمنع الغزاة وعلى رأسهم أمريكا وإسرائيل من استخدام إعلامهم وإعلامنا في تحطيم منظومتنا الأخلاقية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن أوروبا خلال ٤٠٠ عاماً من نهضتها لم تنس هويتها الأوروبية - اليونانية ولم تأخذ من الحضارات الأخرى ما يتناقض مع هذه الهوية، ولكنها أخذت ما يُدعم نهضتها وتقدمها وبخاصة المعلومات العلمية والاصطلاحية، تماماً على عكس ما نحن عليه، فإننا نأخذ من الحضارة الغربية قشورها ونركز على استيراد أسوأ العادات والبرامج ومواد البث الفضائي، ونرفض الدخول الفعلي في برامج التنمية العلمية والتقنية الغربية وهي ما نحتاجها الآن. المسألة أن لدينا سلطات ترغب لنا التخلف والتفتت والانحلال حتى لا نسألها بعد الصحوة: لماذا أنت هنا!!

لا يختلف اثنان على دور الفضائيات العربية بتشويش الفكر العربي

وإشعاره بالقصور والدونية، إزاء عظمة وتكامل الفكر الغربي ورجاله من المستشرقين والمحللين والمبشرين والعسكريين والفنانين والرياضيين... حتى أن المشاهد يرغب دائماً بالتعامل مع مادة غير عربية حتى بالأفلام، لأنه يدرك سلفاً أن المادة العربية، الوطنية، طبعاً غير الرقص وإيحاءات الدعارة، مادة سخيفة عموماً، منقولة مكررة لا ترقى إلى فن الإنتاج الغربي، ولا ترقى إلى تكامل الفكر الغربي، ولنتذكر سوياً الجملة الشهيرة التي نتداولها فيما بيننا ونحن أمام التلفزيون: «هذا فيلم عربي، النتيجة معروفة» ومثل هذه الجملة تقال عن كل ناتج عربي بمزيد الأسف. ولابد أن نعود بجذور هذا التخلف لأكثر من قرن من الزمان، عندما كان الإعلام وسيلة من عادي الشرق لصالح الغرب من المفكرين والسياسيين والإعلاميين، وعندما كان المحافظون على شرقيتهم مجرد حفنة منبوذة لا تستطيع الوصول إلى وسائل الإعلام الناجحة إلا بالأحلام!!

الراقصة والعميل وصاحب الفكر المستورد والسياسي المذبذب والمخابراتي الشاطر والقيادي الذي يعرف مركز القرار والإعلامي التابع للسفارات الأجنبية، والمدرّس الذي يرفض العربية والشاعر الذي يُؤمن بإسرائيل، وصاحب العولمة الجارفة... هؤلاء يمثلون منذ أكثر من ١٠٠ عام حتى اليوم حوالي ٩٠٪ من الإعلام العربي، ولذلك فالبث الفضائي العربي يمثل ٩٠٪ من مشكلة النهضة في بلادنا. ويخطئ من يفصل بين تاريخ طويل أدّى إلى هذه النتيجة ومن يزعم أن بإمكانه علاج النتيجة بحد ذاتها، فمقدمات ١٠٠ عام من التخلف والجهود المتناثرة لا تُلغي بأقل من ١٠ سنوات لأننا في القرن ٢١ أصبحنا نختصر الوقت لصالح الوقت!!.

سلاحان ماضيان يستعملهما العالم القوي ضد العالم الضعيف: سلاح

النار وسلاح الإعلام. الكمية الضخمة من الأسلحة بأنواعها التي تصنعها مختبرات العالم القوي، والتي تُصدّر عنوة للعالم الضعيف، ونحن منه، تحت أعذار ومبررات واهية لبقاء الأنظمة وحفظ الحدود.

والمحافظة على الأقليات ومنع الانقلابات... والكمية الضخمة من المعلومات الموجهة التي تخترق عقول الناس وتشعرهم إثرها بالضآلة والانهزام إضافة إلى الخوف وعدم الجدوى كأفراد وكأمة وكأنظمة وكحضارة..

الكمية الضخمة من الأسلحة والكمية الضخمة من الإعلام هما سلاحان لغزو واحد... لقد رأينا ما فعلته الأسلحة ببلادنا: لقد أنفقنا عليها أكثر من ربع ناتجنا القومي ثم دفعنا أكثر من نصف ناتجنا القومي على تدميرها، أما الربع الأخير من ناتجنا القومي فقد ذهب كعمولة للوسطاء، أما الإعلام ففعل الآتي:

الإفريقي في هذا الإعلام: متوحش يعيش على أدمغة الناس...

العربي في هذا الإعلام: جنسي أكول نؤوم دموي إرهابي...

الغربي في هذا الإعلام: بطل بكل معنى الكلمة.

اليهودي في هذا الإعلام: ذكي وعبقري ومضطهد ولابد من مؤازرته.

لتحقيق هذه الأغراض وما شابهها تضطلع في العالم القوي، شبكة متكاملة من وسائل الإعلام تصل إلى حد الأسطورة، هذا بالإضافة إلى أكثر من مائة معهد معلوماتي مخابراتي صهيوني - أمريكي، يقوم برصد كل ظواهر وبواطن النفسية العربية والبلاد العربية والحضارة العربية:

- معهد (أونيل دانجمان) التابع للمخابرات الإسرائيلية والذي انضمت إليه مؤخراً مصر بعد معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩م.

- معهد المركز الأكاديمي الإسرائيلي، وتشرف عليه السفار[٥]

الإسرائيلية في القاهرة.

- مؤسسة روكفلر للدراسات الاستراتيجية وتشرف على كل الإصدارات الموجهة للأمركة.
- مؤسسة فورد فونديشن للمعلومات.
- مؤسسة راند للدراسات العربية والإسلامية.
- مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية لدراسات الشرق الأدنى والأوسط.
- جماعة أبحاث الشرق الأوسط.
- مؤسسة فرديش ايبرت الألمانية.
- معهد بيركلي للدراسات الدولية.
- مركز شيكاغو للدراسات الخارجية والعسكرية.
- مركز برنستون للدراسات الدولية.
- مركز هارفارد للشؤون الدولية.
- وكالة التنمية الأمريكية.

وعشرات بل ومئات المراكز الأخرى الجاسوسية والبحثية والاستراتيجية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والدينية... وكلها تبحث بأسرار وتوجهات وإمكانيات وثروات ونقاط ضعف ونقاط قوة الإنسان العربي تمهيداً لغزوه.

هذه المراكز المعلوماتية هي التي تكتشف مواطن الضعف والقوة في بلادنا ثم تتستر بالإعلام لتغزونا بالوسائل المناسبة وفي الوقت المناسب، هي التي تزيد فينا الخوف وتزيد فينا الانهزام وتزيد فينا عدم الثقة بتاريخنا وبأنظمتنا وبحضارتنا وبقوتنا... هذه المراكز هي التي توجه الأحداث القادمة، وهي التي توجه السياسات العالمية باتجاهنا، وهي التي تدعم الصهيونية بكل وسيلة، وهي التي تكيد للوطن العربي وللعالم

الإسلامي وللعالم الثالث بكل وسيلة أيضاً.

هذه المراكز تبحث في دقائقنا، في شهواتنا في تفكيرنا في أحلامنا في أطفالنا ونسائنا... ولذلك كله، ولأن الفكر ابن المعلومة، فإن المعلوماتية الغربية - الصهيونية هي صاحبة الكلمة في مستقبلنا.

علينا أن نكون حذرين، فالإعلام الطاغي المعادي يدخل بيوتنا وقلوبنا ويدخل مكاتب أصحاب القرار في بلادنا ويغسل أدمغة المواطنين والحاكمين والصغار والكبار حتى أنه هو الذي يقرر متى تشتري نساؤنا مكانس الكهرباء ومن أي شركة، ومتى يصبح الجيش العراقي خطراً عالمياً، ومتى تتحول دارفور من ولايات رعوية إلى دولة نفطية وإلى أي مدى يجب تدمير لبنان وحرق بناه التحتية ومتى تتدخل الأمم المتحدة في سوريا وإيران؟... هل يتصور أحدنا أن السينما الأمريكية عرضت فيلماً عن احتلال العراق للكويت وعن الحرب العالمية ضد العراق قبل الحرب ذاتها بأكثر من عشر سنوات؟!

نعم لنا أن نتصور ذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية التي تملك نصف ثروات العالم تملك أيضاً ٥٠٪ من كل صحف العالم اليومية و ٤٥٪ من كل محطات الإذاعة العالمية و ٢٦٪ من كل المحطات التلفزيونية العالمية، أما شبكات الإنترنت فهي أمريكية أصلاً وهي التي تنشر فكر العولمة الأمريكي إلى العالم دون منازع.

الدول المهيمنة على العالم تملك أكثر من ٩٠٪ من كل وسائل الإعلام العالمية، وهي رقمياً تملك حوالي سبعين ألف محطة إذاعية مقابل ما لا يزيد عن سبعة آلاف محطة إذاعية في بقية العالم. كما أنها تملك، أي الدول المهيمنة على العالم، حوالي خمسين ألف محطة بث تلفزيوني مقابل ما لا يزيد على ثلاثة آلاف محطة تلفزيونية في بقية العالم (ونحن

منه) . ناهيك عن الأقمار الاصطناعية التي تجوب سماءنا وتحصي علينا أنفاسنا العلوية وأنفاسنا السفلية كذلك ! ! .

ولا يخفى على أحد الآن ، أن هذه الأقمار الاصطناعية هي التي وجهت الطائرات الإسرائيلية في الحروب العربية الإسرائيلية ، وهي التي وجهت الطائرات العالمية لتدمير واحتلال العراق . وهي ذاتها التي وجهت الطائرات العراقية في تدمير إيران من قبل ، وهي التي توجه صواريخ شارون لقصف أعمار أطفال جباليا في غزّة المحتلة كما أنها هي ذاتها الأقمار الاصطناعية التي أنقذت ياسر عرفات بعد تحطم طائرته وهبوطها في صحراء ليبيا !

لقد سيطرت الأمركة على الصحافة ووكالات الأنباء ، فأكثر من ٩٠٪ من كل المعلومات والأخبار العالمية تصدر عن خمس وكالات (يهودية) وهي كما يلي :

- الأسوشييتد برس .
- اليونايتد برس .
- رويتر .
- وكالة الصحافة الفرنسية .
- وكالة الأنباء العالمية .

هذه الوكالات توزع يومياً أكثر من أربعين مليون كلمة على صحف العالم ، تحتل أمريكا منها أكثر من النصف . أما في بقية العالم فالوكالات لا توزع أكثر من ٣٠٠ ألف كلمة ، أي أن العالم الثالث كله لا يبث أكثر من ١٪ من مجمل ما تبثه وكالات الأنباء التابعة للمهيمنين على العالم ، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل .

ويُقال عن الصحف اليومية ، وهي تمثل الصحافة الفاعلة ، ما قلناه عن

وكالات الأنباء، فالإحصائيات تُشير إلى صدور ٧٦٨٠٨ صحيفة يومية في العالم، نصيب الولايات المتحدة منها ١٧٧٢ صحيفة يومية، توزع حوالي ٦٢ مليون نسخة صباح كل يوم. أما في مصر وهي أكبر الدول العربية، فيصدر فيها ١٥ جريدة يومية وتوزع حوالي ٧٧٥ ألف نسخة يومياً فقط.

وقد أظهرت الإحصائيات أن دول الشمال تصدر ٨١,٣٪ من كل الإنتاج العالمي من الكتب، بينما يتقاسم أكثر من ثلاثة أرباع العالم، ونحن منه، ما نسبته ١٦,١٪ فقط. وعندما نتحدث عن الكومبيوتر والإنترنت والأقراص المدمجة، فإن العالم الثالث يراقب هذه الأجهزة ويحلم بها، وهي غالباً - إن وجدت - فللألعاب وللمعلومات الساقطة، أما الشركات الأمريكية والكندية فتحتكر ٦٢٪ من هذه التقنيات، وتحتكر أوروبا الغربية ٣٠٪ منها ويظل ٨٪ لأستراليا واليابان ونحن نتفرّج فقط، نحن ننفعل ولا نفعل.

الإعلام يعكس الثقافة، فلا شيء يمكن أن يقدمه الإعلام عندما تكون الثقافة مثقوبة الوسط والناس حولها يسيرون على رؤوسهم..

هناك مواطن قوة حقيقية في العالم العربي والإسلامي مهملة في الإعلام ولابد أن نلتفت إليها وأن يتعامل معها إعلامنا إن أراد أن يتحول إلى أداة بناء على عكس ما هو عليه الحال الآن:

١ - الثروة الحضارية الإنسانية المنتهية بالإسلام.

٢ - عناصر الاتزان في الفكر الإسلامي بين الله والكون والإنسان والمؤدية إلى توازن الإنسان في سلوكه.

٣ - الحرية والعاطفة نحو الحق.

٤ - المساواة والعدالة الاجتماعية.

٥ - دور الإنسان في عمارة الكون تأكيداً للعبودية لرب العالمين وهو سبحانه مركز الكون ومصدر السلطات.

٦ - الثروة العلمية ورصيد التجربة السياسية العالمية.

٧ - الطبائع الشرقية التي أكدت عليها الأديان.

٨ - تحرير الإنسان من جور الإنسان وتكوين المفهوم الإنساني العالمي.

عند التأكيد على هذه المعاني والقيم إعلامياً في العالم العربي والإسلامي، وعند استخدامها إعلامياً في تكوين النسغ الاجتماعي العربي، يتغير معها كل شيء، يصبح الإنسان العربي إنساناً حقيقياً لا تجرفه الشهوة ولا يحدّه المال وحده ولا يسكن للتخلف ولا يقبل الظلم، ولا يعمل لأنانيته، ولا تستهويه السيطرة على الآخر، بل يحترم الآخر ويتفاعل معه. هذا الإنسان الجديد، هو هدف النهضة، والإعلام وسيلة أساسية في النهضة. وما لم نتدارك جذر التخلف وما لم نعمل سوياً على الحل، يظل إنساننا مهزوماً مما يشكل خطراً مستقبلياً على البشرية كلها، لأن البشرية جسد واحد لرب واحد.

الغزو العسكري والسياسي قد يكون أقل خطراً من الغزو الإعلامي، فالإعلام كسلطة رابعة أقدر من الطائرة على اختراق عقول الناس وأقدر على التحكم بأفكارهم وقناعاتهم، ولذلك فالولايات المتحدة الأمريكية تحتل العالم بالإعلام وتفرض على العالم ثقافتها عبر الدعاية الإعلامية المباشرة، ثم عبر التكتيك النفسي للأمركة وهو ما عُرف بتكتيك الجينز والكوكا كولا وجيمس بوند والمكدونالدز... والإعلام الأوروبي لا يقل خطراً عن الإعلام الأمريكي، فهما وجهان لعملة واحدة. ويُخطئ من يظن أن الأمركة هي مجرد مشروع عسكري، فالقوة العسكرية في هذا المشروع الذي بدأ بعد الحرب العالمية الثانية، تأتي لفرض المعنى الثقافي

للأمركة، وما استخدام اسرائيل في هذا المشروع الأمريكي (كأداة حديدية صماء لإخضاع المعاندين وبخاصة المنطقة العربية المتهالكة بل المثقوبة الوسط). وبالتالي فالمادة الإعلامية المبثوثة في الإعلام العربي هي جزء من المشروع الأمريكي وهي جزء لاحق من المشروع الصهيوني، (وبخاصة بعد معاهدة كامب ديفيد في ٢٦ / ٣ / ١٩٧٩م)، فأنت ترى كيف انتشرت الرقصات الإيحائية على النمط الأمريكي في كل الأغاني العربية، والبركة طبعاً بالقنوات الفضائية العربية الكثيرة في هذا المجال. وليس بخافٍ على أحد أن نشر الأمركة هو كلٌّ لا يتجزأ ويتضمن المعاني التقنية والتجارية والدعائية والسياسية والإعلامية دفعة واحدة. وليس بخافٍ على الناقد بأن كل الإعلام العربي، مقلد ببغائي للأمركة من الإبرة إلى الفيديو كَلْب.

بنظرة متفحصة للاهتمام الصهيوني بالعلاقات الإعلامية مع الدول العربية يُؤكد القارئ أهمية هذا السلاح ومدى تأثيره المستقبلي على أجيالنا وعلى نظرتنا الدماغية والنفسية للوجود اليهودي في بلادنا. أفلام هوليوود هي بغالبيتها المطلقة مشاريع صهيونية موجهة، قد تمكنت في الحقيقة من غسل أدمغتنا وتصويرنا كأمة إرهابية ذات تاريخ حافل بالمجازر والحروب والإرهاب وكراهية الحرية وقتل واحتقار النساء، وقد تمكنت هوليوود خلال قرن من الزمان من التأكيد على تفوق شخصية الإنسان اليهودي على كل رجال العالم وبخاصة على الإنسان العربي. ومع أننا ندرك ذلك على الورق إلا أن هوليوود لا تزال، وستظل، بظل عقلية المنهزمين، هي المصدر الأساسي لكل أفلام إعلامنا الفضائي ولدور السينما العربية أيضاً. هذا بالإضافة إلى أن أشطر مخرجينا يقلدون ويسرقون أفكار سينما هوليوود على أنها إبداعية متناسين البعد الثقافي

الهدّام لهذه الأفكار على العقلية العربية وعلى الأجيال العربية. ولا نزال نذكر أفلام الستينيات والسبعينيات العربية وكيف طبعت بالطابع الهوليوودي الفاجر في الجوهر، وهنا نسأل أين الرواية العربية الهادفة؟ وأين القصة العربية؟ وأين المؤرخين العرب؟ وأين الغرابيل السامقة... والجواب أنها كلها غائبة أو مغيبة، وقد ساهم غيابها بسقوط الإعلام العربي إلى الحضيض الذي نراه.

عندما فكرت إسرائيل بالصلح مع العرب، مع المصريين أولاً، كانت عينها اليمنى القوية مصوبة نحو التطبيع الإعلامي، وهذا ما ركز عليه الرئيس الإسرائيلي الأسبق إسحاق نافون حين قال: «إننا نرى أن تبادل الثقافة والمعرفة لا يقل أهمية عن الترتيبات العسكرية والسياسية مع مصر»، وبالفعل وقّع الطرفان على بروتوكول للتعاون الثقافي بعد أشهر قليلة من التوقيع على معاهدة السلام المصرية-الإسرائيلية عام ١٩٧٩م تبادل المطبوعات والإنتاج الفني والبرامج الإذاعية والتلفزيونية والتعاون السينمائي والمعلوماتي... وهو الأمر الذي حقق لإسرائيل غزو مصر بما لم تتمكن منه الآلة العسكرية على مدى حروب طويلة.

عندما غزت أمريكا العراق دمّرت متاحفه وآثاره ومكتباته ومخطوطاته على خطى التتار، وعندما اقتحمت إسرائيل بيروت عام ١٩٨٢م اقتحمت مركز الأبحاث الفلسطينية وسرقت أبحاثه ثم دمّرته وأحرقته عن بكرة أبيه، والآن سقطت حصوننا جميعاً، أصبحنا مشاعاً، دماؤنا تتناثر على الأرصفة، رخيصة لا تُذكر، أعراضنا تُنتهك في المعتقلات، والدنيا كلها تعلم أن هناك حملة شعواء ضد المسلمين في العالم من القوقاز إلى آسيا وإفريقيا وصولاً إلى إيران عبر الخليج العربي، فماذا فعل الإعلام؟! على الإعلام أن يتنبه إلى دوره المركزي في هذه المعركة

الضروس، وكفى رقصاً حضرات السادة القائمين على الإعلام العربي، كفى، فقد اشمأزت نفوسنا وأرواحنا من مناظر الدماء وهي تسيل تحت أردية الراقصات وإيحاءات الدعارة الحمراء. جاء وقت العمل، فكلنا على ثغر فلنحذر من غزونا عبره.

الإرهاب الإعلامي
على الوطن العربي

لم يتوقف الإنسان منذ يومه الأول على سطح الأرض عن محاولة الاتصال بالآخرين؛ لكن محاولاته البدائية الأولى كانت خالية تمامًا من سوء النية؛ بل كان سعيه الحقيقي سعياً نحو الآخر بحثاً عن الصحبة والاتصال.

وكما يقول علماء الأنثروبولوجيا آلاف السنين مرت منذ أن انتصب الإنسان واقفاً على قدميه متنحياً عن حالته البدائية الأولي، وبصرف النظرعن توقيت اكتشاف الكلام" وهي الثانية في محاولات الاتصال بالآخرين بعد حركات الجسد كالرقص والابتسام والعدوان.. وغيرها"؛ كان الاكتشاف الرهيب هو اللغة.

ومن الطبيعي أنه لا يمكن القول بأن اللغات المعروفة حالياً "والتي اختفى بعضها" قد نشأت كلها في وقت واحد، "وليس مقبولاً القول أو الادعاء أن البشرية كلها أفاقت من سباتها ذات صباح لتجد نفسها قادرة على استخدام اللغة بيسر وسلاسة"؛ بل استغرق ذلك قروناً لا يمكن إحصاؤها بدقة؛ لكن الأرجح هو أن عالم الشرق - على وجه التحديد - كان

من طلائع من "تكلّموا" ، - والأكثر من ذلك - كان من أوائل من اخترعوا الكتابة - وتكفي نظرة واحدة إلى أي قاموس في العالم لتعرف أن اللغات الأم -حديثها وقديمها - اتخذت أبجدياتها صوراً من الحروف والرسومات في بعض الحضارات القديمة التي لم يكن هناك بدًّا من تفادي تقليدها أو العمل على شكل من أشكالها الهندسية - " التي كانت تقلد الطبيعة، الحيوانات، الطيور.. إلخ " وكانت بداية حقيقية للتخاطب والمعرفة وتناقل الأخبار وتبادل الآراء وحتى إصدار الأوامر وخلق طبقة معينة تخدم السلطة أو تكون هي السلطة نفسها.. ثم تبادل الثقافات عن طريق النقل والنسخ والترجمة.

ومع هذا كانت هناك مشقة تفوق الوصف في العهود السحيقة عند نقل الرسائل والمكاتبات والتعليمات والأوامر.. حيث بدأت المشقة في النقش على الحجر.. ثم المشقة الأخرى الأكبر في نقل تلك الرسالة الحجرية من مكان لآخر...؛ ولأن الإنسان لم يتوقف قط عن السعي إلى الاتصال بالآخر والإجادة في ذلك فقد كان من الضروري أن يجد من الوسائل ما هو أقل إرهاقاً من نقل الحجارة بما تحمله من رسائل.. وسرعان ما اهتدى إلى الكتابة على جلود الحيوانات ثم البرديات.. وما هي إلا قرون قليلة حتى صار اكتشاف "الورق" ذلك الاكتشاف الهائل؛ ثم اكتملت الحلقة عندما اكتشف "يوحنا جوتنبرج" آلة الطباعة حيث كان في ذلك إمكانية أن تصبح الورقة الواحدة آلاف

وملايين الأوراق، وكان ذلك الاكتشاف - إلى جانب العديد من الاكتشافات غيره - من أحد أسباب النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر!!

وعصر النهضة ذاك بكل "نهوضه" الهائل الذي انصرف على كل مناحي العلم والمعرفة والكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات ودراسة الكواكب والأفلاك الأخرى، كان برغم كل ذلك مجرد مجتهد أصاب في بعض المناحي وأخفق في البعض الآخر!!

لكن - ودائما هناك لكن - لم يخطر ببال أحد ولا حتى أكثر الحالمين حلماً ولا أفضل الخياليين خيالاً أن يكون هناك في يوم من الأيام "صورة مرئية - أو حتى مسموعة" يمكن التخاطب عن طريقها؛ بل والأكثر من ذلك أن وسائل مثل الهاتف والتلغراف والتليفزيون كانت ضرباً من ضروب المحال!!!

ولأن موضوعنا "الأساس" في هذا الكتاب ليس دراسة التطور البشري والعلمي والتكنولوجي من فجر التاريخ وحتى هذه اللحظة فإنه يتوجب علينا أن نقفز طويلاً بعض الشيء لنقول أن شاشة التليفزيون "الصورة" ترجع إلى منتصف القرن الماضي وتحديداً عقب الحرب العالمية الثانية حيث كانت السينما قد سبقتها بأكثر من أربعين عاماً "١٩٠٣" حيث بدأت الصور المتحركة والسينما الصامتة التي لم يكن بوسعها أن تظل خرساء لمدة طويلة فصار العمل ليل نهار حتى تكلمت الصورة وصارت

السينما الحديثة بصورتها الناطقة التي نعرفها الآن ! ! حيث ظلت للسينما سيادتها التي لا زالت محتفظة بمذاقها الخاص حتى الآن.

أما سيادة البث التليفزيوني - فعلى الرغم من أنها الأحدث- فقد كانت أكثر وأبرز إذ أن سيادته جاءت اكتساحية ! !

وهنا تجدر الإشارة أولاً: إلى أن العناصر الأساسية لهذه "الصور بكل أنواعها" جاءت متميزة لأنها تمثل "صناعة" بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى تقتضي أبحاثاً ومراكز للتطوير وملايين مملينة تنفق على الإجادة والتجويد والتحسين الحذر وذلك في أماكن تعلو فيها قيم المنافسة ومحاولة الحصول على المركز الأول في كل شيء - حتى شاع القول المعروف "you are not winning the silver you lost the gold " .. إنك لم تحصل على الميدالية الفضية بل إنك خسرت الميدالية الذهبية " وهذه المقولة تشير إلى أنه لا مكان للثاني في هذه المسابقات بل الأول هو الأول.. the first is the best .

ثانياً: برزت هذه الصورة لأنها أخذت أيضاً شكل تجارة متسعة، ونعني هنا بالتجارة اندراجها تحت علم البيع والشراء والتوزيع والتسويق وفتح الأسواق والتسابق في الحصول على سوق ما قبل الآخر في "منافسة شرسة تبدو ساحتها قادرة على ابتلاع كل ما هو ماء أو يابس فوق سطح الكره الأرضية - ناهيك عن الفضاء في المستقبل القريب - ولسنا بحاجة إلى التدليل

على "علمية التسويق بالنسبة لصنف الصورة القادم من أمريكا تحديداً.. وأوروبا بعده بمسافة طويلة؛ وقد لا يكون لغيرهما مجال يستحق أن يذكر كمنافس داخل هذه المنافسة.. وكمثال بسيط على ذلك:-

١) منتج تلفزيون أمريكي "جيد المستوى - هائل المستوى -رفيع المستوى - تافه المستوى - منحط المستوى" ترى أين منافذ توزيعه وبيعه وتسويقه؟!.. الإجابة: الكره الأرضية كاملة من قطبها هذا إلى قطبها هناك.. حتى في الصحاري الكبرى ومناطق الكثافة اللامتناهية في آسيا وأفريقيا.

٢) منتج عربي رفيع المستوى بكافة المقاييس "وهذا شديد الندرة والصعوبة في حالة حدوثه" ترى ماهي إمكانية تسويقه عالمياً؟! الإجابة: صفر، والسبب الرئيسي لتلك المعادلة غير العادلة هي أنها - للأسف - عادلة للغاية..

لماذا؟.. لأنهم كان لهم منذ اللحظة الأولى لعملية التصنيع والإنتاج رؤيا واضحة قامت بها أجهزة متخصصة تقول: إذا ما صنفنا هذا أو ذاك فمن يا ترى هو المستهلك..، وحين ألقوا نظرة على خريطة العالم وجدوا أن لهم - كما يقول المثل المصري - في كل "خرابة عفريت"!! أي منفذ للتوزيع ومندوبين ودور عرض...إلخ...؛ ولعل ذلك يقودنا إلى الاعتراف بأن "بيع الصور الأمريكية على شرائط إلى العالم" ربما ينافس دخل الولايات المتحدة من بيع السلاح ويعادل أضعاف دخل دول

نفطية كبيرة ! ! - وهو أمر قد لا يدعو إلى الدهشة لأنه يتحدث عن أناس "عرفوا مبكراً جداً أهمية هذا المصنف الرهيب" ! !

وفي العنصر الثالث بعد عنصري الصناعة والتجارة يأتي عنصر الفن والترفيه، حيث أن هذا الباب الصغير جداً - الكبير جداً - أكّد أن عنصر الصورة الملوّنة المتميزة قد صار يمسك بناصية كل المستهلكين في العالم شرقاً وغرباً.. الصغير قبل الكبير... وصار يشكل عقلاً عاماً ورأياً عاماً.. وتوجهاً عاماً.. بل وتوجيهاً عاماً ! !

وإذا كان الهدف - كما قال أرسطو - عن الشعر والفن بأنه يعلّم ويرقه To teach and delight فإن هذا القول الرصين قد صار الآن وكأنه دليل حسن نوايا قديم كُتب على حجر كبير وفتتته رياح يشوبها الكسب قبل وبعد سوء النية.. ولأن الأوائل في صناعة وصياغة وترتيب الأوّليات والأولويات كانوا هم الصنّاع والمخترعون والتجّار والفنانون وقوافل بالملايين تعمل معهم، فقد ظلوا حتى هذه اللحظة يطوّرون أدواتهم ويوسعون تجارتهم ويصنفون نجومهم على هواهم؛ ولم يعد بوسع الآخرين سوى الاستقبال والاستهلاك ودفع الثمن مباشرة لمن يبيعون الهواء لهم لأنهم قد تمكنوا مبكراً من فهمه والسيطرة عليه وفرض أسعاره ! !

وقد لا يكون هناك ما يدعو إلى القلق بهذا الشأن أو بغيره لو صلحت النوايا تماماً.. "وهذا مستحيل في عالم اليوم" أو "

لو لم يكن السم في العسل "!!.. لكننا نعاجل بالقول بأن سوء النية ليس مطلقاً وعاماً.. وبأن ليس كل ما هو سم بقاتل "فمن السموم النافعات دواء"

نحن..

نحن - وبالعامية "إحنا" اللذين صرنا بين عشية وضحاها، ضحايا عولمة Globalization تمت صياغتها منذ زمن ليس بالقريب - دون استشارتنا ودون اعتبار لثوابتنا الثقافية والدينية والحضارية - حساباً من القائمين عليها والمروّجين لها بأنها قد صارت ضرورة وحتمية ليس بوسع أحد " إلا أن يأخذ بها " ناهيك عن غثها و ثمينها.. حلوها ومرها.. جميلها و سافلها.. عاقلها و سفيهها.

إن هذه الفرضية التي قامت عليها العولمة فرضية سخيفة تسعى نحو " إلغاء الآخر الشريك " بالقوة الجبرية، وجاءت ببعد حضاري وأخلاقي جديد ليس بوسع أمة أو دولة أو حضارة أن تقبل به أو أن تكون على علاقة ودٍّ معه؛ بل الأدعى للعقل هو القول بأخذ ما فيه نفعنا.. ونبذ كل ما لا نرضى عنه، حتى لو كان تمام الرضا عنه قد جاء عبر المحيط الأطلنطي أو حتى.. عبر المريخ!!

ولكن.. هل لدينا خطه ما للتصدي لذلك؟!.. هل لدينا القدرة على التصدي لتلك القوة الهائلة القادمة من بعيد " قوة

الصورة والصوت في العمل السينمائي والتليفزيوني" الذي يحمل في طياته نوعاً مدروساً من الدعاية The life style كنموذج حياة الآخرين؟!.. الواقع أن منا من لا يري ما يدعونا إلى الاعتقاد بوجود خطة ما - وربما يرى أن من الكافِ عقد لقاءات ومؤتمرات واجتماعات وندوات ولجان.. إلخ.. تشير إلى الأمر ولو على استحياء؛ لكننا في آخر الأمر نرى هزال هذه الجهود البسيطة يتكسر على الورق وينطوي في صمت حتى يضاف إلى أدراج المكاتب متزاملاً مع أوراق وجدت المصير نفسه منذ عشرات السنين!!

إن علينا أن نكون أكثر عملية في سعينا نحو الدفاع عن أدمغة وقلوب الشباب ومستقبلهم - الذي هو في الواقع مستقبل أي أمة -.. لأن الشباب أمامه مستقبل يسعى لإقامته خطوة خطوة وليس من حقه التثاؤب أو الكسل أو التراخي أو التمدد فوق الفراش أو الأريكة مستقبلاً في سلبية وبلاهة كل ما تمطره قنوات فضائية لا حصر لها تحدث فيه من الأثر والتأثير ما قد يبدو سهل النسيان أو التناسي" وهو في ذلك مخطئ تماماً؛ لأن ما يراه ليل نهار يؤسس بلا شك مستقبل وجدانه وكذلك مستقبل الرجل الذي ينتوي أن يكونه"، -أما الشيوخ- هؤلاء الأباء والأجداد الذين يتذكرون كثيراً الأمس - بل - ويفخرون بما فعلوه لأولادهم وأحفادهم؛ هؤلاء هم الأنأى عن الكل بالآثار السلبية للشاشات الملونة طوال ساعات البث؛ لهم

حق الراحة والاسترخاء وهم أبعد ما يكونون عن التأثر - لكن بقي لهم أمر هام وهو وعيهم الزائد بالشباب وخبرتهم الأشمل بسوء المعروض أحياناً - مما يلزم على الأقل - لا نقل بالزجر أو المنع - بل على الأقل بالتوجيه وحسن إدارة المشاهدة التي تغالي أحياناً إلى درجة من الانحلال غير مقبولة من عاقل أيًّا كان" ! !

ولأن ما قلناه في السطور السابقة كان على وجه العموم فإن ما يلي ذلك يحمل في طياته خصوصية تصل إلى الإحصاء والأرقام في بعض الأحيان عن تأثير البث المباشر على العلاقات الاجتماعية عند الشباب حيث جاءت هذه النتائج بعد بحث ودراسة ميدانية أجريت على طلبة الجامعات السعودية ! ! على سبيل المثال :

البث المباشر
عبر التليفزيون

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن إطار المحاولات الدؤوبة لخلق ثقافة عالمية موحدة - وهو ما يطلق عليه حاليا "عولمة الثقافة" عن دور تقنيات البث المباشر كأحد أهم أدوات تحقيق هذه الثقافة - وقد أثار البث المباشر الكثير من الجدل على الساحة العربية ومدى تأثيره على العادات والقيم حيث نجد أن هناك من يعارض استقبال بث القنوات الفضائية، وهناك من له رأي محايد يرى ضرورة استقبال هذا البث مع فرض القوانين والقواعد المنظمة له في محاولة لحماية العادات والقيم التي تعد ركيزة هامة في المجتمع العربي لاسيما القبلي منه، بينما وجدنا أن من بين الناس من يرى ضرورة الانفتاح على العالم من خلال استقبال تلك القنوات الفضائية بلا خوف نظراً لأن الشخصية العربية صارت إلى حد من التماسك والقوة يجعلها قادرة على مواجهة هذا البث !! ولقد استطاع البث المباشر أن يدخل العالم العربي بسهولة محققاً ما قاله عالِم الاتصال الشهير "ماكلوهان" الذي قال "إن الحدود بين الدول ستتلاشى ويصبح العالم "قرية صغيرة" يشارك فيها الجميع في كل

شيء، وهذا التحول إلى القرية الواحدة الشاملة " يضع الإنسان العربي عموماً والسعودي خصوصاً بثقافته وشخصيته الخاصة في مأزق حضاري لمواجهة هذه التقنية الحديثة في ظل عصر المعلومات وثورة التكنولوجيا التي جعلت التليفزيون أحد أهم وأخطر وسائل الاتصال الحديثة حيث دخل ببثه المتطور منازلنا من خلال أجهزة وأطباق الاستقبال الفضائي المباشر، وصار أكثر وسائل الاتصال تأثيراً في حياتنا - وخاصة على من هم في مرحلة الشباب - بعد أن أشارت نتائج العديد من البحوث الميدانية إلى أن تعرض الشباب لما يبث في قنوات التليفزيون أصبح الآن ظاهرة من أهم الظواهر الاجتماعية في العصر الحديث، وأصبح هذا التعرض قوة تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية للشباب جنباً إلى جنب مع المؤسسات والمنظمات المؤثرة الأخرى كالبيت والمدرسة ودور العبادة وزملاء الدراسة والثقافة. ولقد زاد الخوف من تأثير التعرض لما تبثه هذه القنوات مع بداية البث الفضائي المباشر.. حيث تكمن خطورته فيما يبثه من مضامين وأنماط سلوكية تتعارض أحياناً مع قيم مجتمعنا العربي، وهو ما دعا الباحثين "ونحن معهم" إلى دراسة الآثار الاجتماعية للبث المباشر.

وهنا يجدر بنا التوقف للتعليق على ما يبدو أنه من المسلّمات - لأن المصيبة تكمن دائما في قبول المسلّمات و كأنها نهائية- ناهيك عن عدم معرفتنا على وجه الدقة من هو.. أو هي تلك

الجهة التي أطلقت تلك المسلمات . نحن نعرف بعض المسميات البسيطة وهي الميلاد والموت . . "وما بينهما من حياة " وعبارة ما بينهما من حياة هي موضع الدراسة في كافة أنحاء العلوم والمعارف - لذلك فنحن بداهة نجادل في شريعة تلك المسلمات التي لا تخلو من استعجال في قبول الأمر الواقع وكأنه نهائي - كأنه لا حول لنا ولا حيلة - نحن أو غيرنا من بلايين مستقبلي البث الفضائي . .

خلق ثقافة عالمية موحدة
- أو -
عولمة الثقافة

يقول عالم الاتصال الشهير "مارشال ماكلوهان" إن الحدود بين الدول ستتلاشى و سيصبح العالم قرية صغيرة يشارك فيها الجميع في كل شيء " وهنا لنا وقفة لابد منها : خلق ثقافة عالمية موحدة :

أولاً : من الذي يقوم بهذا الفعل "خلق ثقافة عالمية موحدة "

ثانياً : ثقافة من ؟

ثالثاً : كيف هي موحدة ؟

رابعاً : لمصلحة من الظن بأن ذلك سيحدث تلقائيا " أليست أبسط قواعد الخلق أو الإنشاء أن يكون له فاعل ؟ !

من رابع المستحيلات خلق ثقافة عالمية موحدة لكن من الممكن محاولة فرض ثقافة ما بالقوة " مثل فرض سلطة ما بقوة السلاح من قبل جهة غاشمة مدججة بالسلاح على جهة أخرى" ! ! فالغرب - بالذات أمريكا مدججة بكل وسائل وسبل "الإيجاد " المزعوم لثقافتها هي - بوصفها الفاعل الأم - وما على البقية الباقية سوى الفرجة وإن عنَ لها الاعتراض على تلك الثقافة العالمية - فلا بأس ؛ فإنها ثقافة الديمقراطية التي

تفرضها الدبابات والمدافع والقاذفات الثقيلة وأفلام البورنو المتقنة الصنع.

إن الكلام عن خلق ثقافة عالمية موحدة يشبه "الضرب على القفا" مع افتراض أن المضروب على قفاه لا يملك تكنولوجيا أو رؤيا لفرض ثقافته هو: إذن.. بصريح العبارة، المطلوب هو التخلي عن - أو نسيان أو تجاهل - أي موروث حضاري أو ثقافي آخر يتعارض مع الخطة العامة للثقافة العالمية الموحدة التي هي في صلبها:

١) ليست ثقافة

٢) ليست عالمية

٣) ليست موحدة

هي ليست ثقافة لأنها مفردات آخرين قد تم نصبها فوق فوهات عملاقة اسمها السيطرة الإعلامية على كل جهات البث عالية الجودة وجذور تلك الثقافة لا تصلح قط للمجتمعات التي أفرزتها "و هذه بديهية علمية"!! تُرى.. ما رأي أصحاب هذا التوجه في ثقافة الهنود الحمر في أمريكا أو ثقافة سكان أستراليا الأصليين؟؟.. أو ثقافة أصحاب اللغات الأم مثل العربية والسنسكريتية والأردية والفارسية.. إلخ، أليس من المدهش الغير القابل للتصديق أن تطالب ثقافة كتلك أن "تتحد من خلال ثقافات الكاوبوي والقنبلة الذرية والعري المطلق ومستعمرات العراة وزواج الرجال من الرجال والنساء من النساء مع ثقافات

صـلّمة موحدة ترفض ذلك وتزدريه؟؟

نعم.. هناك ثقافة وحضارة ووجود ودولة قامت "ثقافتها" على نظرية الغزو بكل ما فيه من ازدراء للآخرين وليست هذه ثقافة جديدة على القرن العشرين.. بل هي قديمة قدم التاريخ فهناك من قدم للتاريخ أبطالاً بينما هم في واقع الأمر مجرد مجرمين يحملون في طياتهم " ثقافة واحدة " : هي ثقافة الغزو.. الإسكندر المقدوني، يوليوس قيصر - هانبال - وصولاً إلى نابليون وهتلر وموسوليني.. إلخ.. لم يكن من بينهم مجرد واحد ضمّن " ثقافته " الدفاع عن وطنه أو الدفاع عن شيء آخر سوى مصالحه التي امتدت لتشمل نصف الكرة الأرضية في بعض الأحيان كما حدث في زمن ستالين "حيث كان هو الآخر وغيره أصحاب "ثقافة يريدون فرضها على الآخرين بقوة السلاح".. هناك إذاً Trap فخّ .. بالألوان وصورة التليفزيون الجميلة - وإذا لم يعجبك ذلك فهناك الحل الآخر : هو أن تقبل ذلك رغماً عنك - لأننا سوف نتسلل إليك وإلى بيتك وعيالك عبر الهواء وما عليك سوى أن تفتح جهاز الاستقبال لتهجم عليك بكل ما يجعلك تنسى ثقافتك وحضارتك وأسلوب حياتك. وأن يجعلك بالرغم منك تهوى حياتنا التي نعيشها، وخلاصة القول من عندنا في هذه النقطة بالغة الأهمية هو :

- الرغبة الشديدة في جعل الحضارات الأخرى من مخلفات الماضي كما يقول المثل الشهير Just Water Under the Bridge.

- التلويح بحضارات بديلة تبدو أهم و أكثر إمتاعاً تقود هذه العولمة الجديدة إلى مزيد من المبيعات ومزيد من الأسواق.

- إن عدم أخذ الآخرين "بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم" في الاعتبار يعد بمثابة عنجهية فكرية تزعم تفوّق العقل الغربي على بقية العقول في العالم!!

قلنا بأنها ليست ثقافة.. وإنما فرض جبري لثقافة ما على ثقافات أخرى، وقلنا أنها ليست عالمية لأن جهة المنشأ واحدة وتحمل أوزار التوجه سيء النية من المصدر، وقلنا أنها ليست موحدة لأن توحيد الأشياء سهل لكن توحيد الثقافات والحضارات هو فعل إرادي ضيق المنظور يصل حد العبث والبلطجة الفكرية وادعاء التفوق.

لقد شاهدنا - ومازلنا نشاهد مظاهرات بالملايين في أوروبا ضد العولمة المزعومة - وشاهدنا قوات الشرطة في قلب أوروبا تحاصر مقارّ اجتماعات بحث العولمة لتصطدم بالجماهير حتى يقع ضحايا بين جريح وقتيل!!.. وليس هذا مدهشاً لأن أوروبا - مواطنيها - على وجه الدقة يشعرون أن هناك نية ما لابتلاع أوروبا أو على الأقل جعلها "ولاية كبرى بعيداً عن الدولة الأم".

وإذا كان دعاة العولمة يناضلون من أجل ذلك بدافع من المصالح المادية المباشرة الآن ومستقبلاً متناسين تماما أن ثقافة أي أمة لها المكونات والعناصر التي يستحيل تجاهلها - الدين واللغة والتاريخ والجغرافيا ومخزونها المؤلف والمتآلف من كل

ذلك - فكيف يقولون ثقافة عالمية موحدة؟؟.. يقولون ثقافة عالمية موحدة لأنهم يقولون نحن الثقافة ونحن العالمية و سوف نوحد العالم معنا شاء هذا العالم أم أبى، لأننا الأفهم والأعلم والأقدر على معرفة شؤون العالم وتحديد مستقبله، ويبدو أن هؤلاء الدعاة الجدد يعيشون نشوة انتصار زائف في الوقت الحاضر، وأبسط قواعد النشوة لمن يعرف ذلك هو أنه ما من نشوة دائمة.. لكنها دائماً لحظات خاطفة محدودة.. فهي حالة لا تبعد كثيراً عن حالة الفرح الزاعق.. أو لحظة التألق الجنسي في Climax عند الإنسان والحيوان!!

وقبل أن نفرغ من هذه الجزئية التي تتكلم عن عولمة واحدة لثقافة واحدة متحدة أقول أن مكمن الجمال في العالم هو تلك التعددية الهائلة في المكان وفي الناس واللغة، وهي من حكم الله تعالى في خلق هذا الكون، وهو القائل في كتابه الكريم ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾[الحجرات: ١٣].. والقائل أيضا ﴿ واختلاف ألسنتكم وألوانكم..... ﴾ [الروم: ٢٢]، ففي هذه التعددية حلاوة لا تبارى، فقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون بفئاته المختلفة وشعوبه ولغاته وثقافاته وهو يعلم جل جلاله كيف أن على ملايين القرى وملايين الأماكن وملايين الناس أن تبقى محتفظة بكل الخصائص ذات الطعم الخاص لكل منها...

إذاً، وعلى الجانب الآخر.. علينا أن ندرك أن اختلاف هذه

الثقافات يدعونا إلى السعي إلى التعارف الأكثر الذي يدعونا إلى معرفة أن من الحكمة أخذ أفضل ما في هذه العولمة وهو كثير.. ونبذ أسوأ ما فيها وهو الأكثر؛ إذ أنه ليس من العقل في شي أن يرى الواحد رؤى العين ما يحب أن يكون لديه أو قادر على أن يكون لديه دون أن يسعى لذلك؛ كما أنه من الحماقة بمكان أن نأخذ بما لا نحب ولا يفيد ليس لسبب إلا أن "آخر" يرى بضرورة أخذنا بذلك..

ونتساءل عن مصير هذا الادعاء " القرية الصغيرة الموحدة " في ظل العولمة؛ ألن يحدث غداً.. أو بعد غد حين تتغير موازين القوى - وهو حادث لا محالة في يوم من الأيام - أن يأتي توجه آخر بعولمة أخرى نابعاً من ثقافة أخرى ويطالب هذا التوجه بالقوة أو بغيرها ضرورة تبديل تلك العولمة بأخرى!! أليس من الأفضل للدنيا وساكنيها أن نطيع الله في ترك ما لله لله وأن نعرف واجبنا في ترك ما لقيصر لقيصر شريطة أن يكون هذا القيصر هو ما نريده نحن وليس إملاءً خارجياً أياً كان شكله أو لونه أو تفاصيل شاشاته الفضائية وألوان ملابسه وديفيليهات نسائه!!

الغريب أن هناك من يرى ضرورة الانفتاح على العالم من خلال استقبال مايردنا منه سواء من خلال بث القنوات الفضائية أو غيرها بلا خوف لكونه يرى أن الشخصية العربية وصلت إلى حد من التماسك والقوة يجعلها قادرة على مواجهة هذا

البث ! ! وفي هذا القول عجب . .

أولاً . . نحن لم يعد لدينا خيارات كثيرة في هذا الأمر أو ذاك - فقد حاولت العديد من الحكومات العربية حرصاً على مصلحة مواطنيها - وسياساتها أيضاً - الحيلولة دون التهالك على أجهزة الدش والريسيفر بقدر المستطاع لكن لم يكن بوسعها حقاً الوقوف في وجه الغزو القادم من الفضاء . . ثم ما لبثت أن لزمت الصمت ، بل وسرعان ما زاد عدد المحطات التي تمولها جهات عربية رسمية وأهلية .

إذن . . الفضائيات موجودة " وقد سبق السيف العزل" ولم يعد من السهل مقاومتها لأن "الإدمان" على مشاهدتها قد استفحل وصار الناس يقضون معظم ساعات حياتهم يتنقلون في نزهات كسولة بين تلك المحطات من أدناها إلى أقصاها . لكن ما يستوجب الرد على تلك المقولة هو أملنا أن نوجد الشخصية العربية التي تصل إلى حد من التماسك والقوة يجعلها قادرة على مواجهة هذا البث .

فبصراحة . . - وأرجو أن لا يغضب مني أعداء الصراحة - الشخصية العربية التي نعرفها الآن ليست قادرة على مواجهة كل هذا البث . . لماذا ؟ ! . . لأنها في مجملها تعاني من الكسل الفكري والتضليل الإعلامي ومن الأمية بكل أشكالها ، ولم يحقق كثير من أفراد هذه الشخصية العربية قدراً من التعليم والثقافة يمكنانه من "الجدل" بشأن ما هو معروض عليه . إن

تعداد الأميين في العالم العربي يبعث على الخوف، وتعداد الأميين المتعلمين منهم يبعث على الخوف أكثر، فكيف لشخص بتلك المقومات الهزيلة أن يستجلب طاقة كافية على مجابهة هذا الوحش الذي يحسن من صورته ويلونها دوماً لكي تناسب المكان والظرف والمناسبة.

- ومن مشكلات الشخصية العربية الكلاسيكية أنها ليست شخصية شكاكة "Skeptical"، بل هي شخصية مسالمة تميل نحو قبول كل من يدعي بالأفضلية في تلك المجالات بوصفها مغلوبة على أمرها من الناحية المطروحة على الشاشات؛ ولم يجانب الصواب ابن خلدون في قوله "أن المغلوب يميل إلى تقليد الغالب في ملبسه ومعيشته" وهو ذاته ما سماه مالك ابن نبي "القابلية للاستعمار"، ناهيك عن ذكاء صاحب الطرح وخبرته الطويلة وسيناريوهاته المدروسة بعناية على الشاشة بحيث يجد المرء نفسه بين شقي الرحى "هل هم على حق؟ أم أنا على باطل" وواقع الأمر ليس كونه على حق وإني على باطل.. فالواقع أنه قد فعل ومازال يفعل وسوف يظل يفعل ما يريد، أما أنا فسوف أظل أتفرج كما تفرجت قبل الآن وكما سوف يحدث غداً وبعد غد.

والسؤال الأهم: هل صاحب هذا البث معني بأمري؟ هل يصحو من نومه كل يوم وهو مشغول بقضاياي ورفاهيتي وأنه لا يدخر جهداً لإسعادي؟.. كم أنا محظوظ لأن لي أمًّا لا أعرفها

تحنو عليّ وأباً لا أعرفه يجند حياته من أجل إدخال البهجة إلى قلبي ونفسي!

إن صاحب البث في واقع الأمر لا يرى فيّ سوى مشروع استثماري على المدى البعيد لا يكلف إعداده شيئاً، بل على العكس من ذلك أنه يبيعني يومياً "بلاويه ورزاياه" والأدهى أنني أتسابق من أجل الشراء - وليس بمقدوري البحث عن سلعة أخرى، فالسلعة الوحيدة صاحبها هو منتجها الوحيد الذي يسعى إلى عولمة ثقافية واحدة.

إن هذا التوجه البغيض- كما أسلفنا - لم يبدأ مسعاه بالأمس القريب ولا بين عشية وضحاها، إنها خطة طويلة منذ عهد الاستعمار الأول للشرق.. قامت به إنجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال و ألمانيا وإيطاليا وروسيا الشيوعية.. لكنه بات واضحاً جليًّا في مطلع التسعينات، وبداهة بعد سقوط الشيوعية وتنصيب أمريكا لنفسها كقوة أحادية حين تقول فعلى العالم أن يستمع.. ومن ليس معها فهو ضدها!!

الغريب في الأمر أن هذا واضح ببلاء وبجلاء لكل العرب وغير العرب حكوماتٍ وشعوباً لكن المقاومة - بكل أسف - في كل الأنحاء تكاد لا تذكر.. اللهم من ندوة هنا أو مظاهرة هناك، ومن ضحية هنا أو سجين هناك، هذا عدا ما يذكر بين الحين والآخر في كتاب يقاوم أو مقالات ترفض؛ لكن منشار العولمة بأسلحته الملونة ليس مستعداً للتوقف؛ فقد انطلق

كالسيل الجارف الذي يصعب أن يوقفه شيء إلا إذا انقلب على ذاته - وإذا حدث وانقلب أو توقف- فلن يعترف بخطأ خطته الجهنمية.. بل سيسعى إلى مجرد جلد جديد تحت شعارات أخرى!!

مجلس إدارة الدش
داخل الأسرة الواحدة

أمر يدعو إلى الدهشة، وبالأحرى يدعو إلى الضحك.. وبين الدهشة والضحك نتساءل عن قيادة موضوع الفضائيات داخل الأسرة الواحدة.

القاعدة تقول أن هناك طبقاً واحداً.. وعدة أجهزة تليفزيون ربما في البيت الواحد.. وجهاز "ريموت كونترول" يتناقل بين الأيدي في أوقات الفراغ أو في يوم الإجازة.. ومن الجميل أن تجتمع الأسرة حول ذلك الجهاز لمشاهدة البرامج المختلفة من أجل التسلية كما كان يحدث عندما بدأنا استقبال ضيفنا الدش.

وفي ظل وجود رب الأسرة وتحت إشرافه ومتابعته يبحث كل واحد من أفراد الأسرة عن شيءٍ مسلٍّ أو جادٍّ مفيد، ولكن يجب أن يكون أخلاقيا ومحتشماً أيضاً لأن رب الأسرة بصحبة زوجته يراقبان الأولاد لضمان سلامة ما يشاهدونه من كل مخزٍ مشين، فهذا البث كان يجمعهم ليتحاوروا حول ما يشاهدونه.. لكن هذه الصورة بدأت تتلاشى الآن، وحل مكانها صورة أخرى.. ففي الواقع ستجد أن الكل بصورة أو بأخرى يتأفف؛ فالطفلة الصغيرة تريد أفلام الكارتون.. وإذا كانت أكبر قليلاً

ستسعى لمشاهدة أفلام الرعب والأكشن ؛ لذلك تجد هذه الصغيرة لا تتوقف عن غمز الأم والنظر إليها راجية التدخل لدى الأب الذي يندمج في برنامج ديني على فضائية ما . . أو برنامج سياسي على محطة أخرى - وتذهب تضرعات الصغيرة سدى ، أما الشباب فهم يرغبون قطعاً في مشاهدة شيء آخر ككرة القدم أو المسابقات والبرامج الغنائية الهزيلة ولا بأس من فيلم رومانسي يحفل بعدة مشهيات ملفتة للنظر - ويا حبذا لو كانت جديده على مرآهم . وربما لو كانت الفتاة - في عمر الثانوية أو الجامعة - فستحبذ متابعة آخر فيديو كليب . . وربما آخر ديفيليه . . أو برنامج ستار أكاديمي الذي يجعلها تحلم بحياة بعيدة عن القيود وتهز مبادئها دون أن تدري ، أما الزوجة - وهي الوحيدة في المعصرة - تريد أن ترضي الكل وليس بوسعها - ولن يكون - إرضاء الكل ؛ ناهيك أنها هي الأخرى ربما تكون قد أدمنت المسلسلات الأمريكية الغثيانية ؛ لكنها بوصفها الأم . . رمز التحمل والعطاء ستكتفي بالحياد ؛ ومن الأفضل التوجه للمطبخ لإعداد وجبة الغذاء أو حتى لمجرد الاحتماء بالمطبخ بعيداً عن ثورة الصراع ! !

ومن حقنا أن نتساءل . . " وهو موضوع يكفي وحده لبحث كامل مستقل في هذا المجال " هل شعر أي من أفراد تلك الأسرة بأنه يحب صحبة الآخر في مثل هذه المشاهدة ؟ ؟

بالقطع لا ؛ فالكل في قرارة نفسه يتمنى اللحظة التي يصبح

فيها وحيداً لينفرد بالقرار في التعامل مع الدش ؛ أما غضبه المؤقت من الآخر فسرعان ما يزول إذا ما حقق قدراً ولو ضئيلاً مما يرغب فيه ! ! وهو ما بدأ يحدث الآن بالفعل حيث أصبح عدد الأطباق فوق أسطح كل منزل يفوق عدد أفراد الأسرة وأصبح أمام كل ابن من أبناء الأسرة هاتفٌ محمول خاص به وريموت كونترول خاص به .. ونجح طبق الاستقبال الفضائي المباشر في إيجاد فرقة أكيدة يقوم بها داخل الأسرة الواحدة ! !

وإذا افترضنا أن أسرة سعودية أو مصرية .. أو يمنية .. أو أي من أسرنا العربية التي ما زالت " محافظة .. متدينة " رفضت هذا ، وقبلت على مضض أن يكون في البيت جهاز استقبال واحد يمكن للجميع مشاهدته تحت رقابة الجميع فلنتصور كيف سيشاهد أفراد هذه الأسرة فيلماً سينمائياً من تلك الأفلام التي تبثها الفضائيات : هل سيبدو هذا الفيلم بما فيه من علاقات عجيبة .. ولقاءات ساخنة .. ولغة مزرية مناسباً للأسرة ؟ ! .. سيقوم البعض بالانسحاب من الموقع .. ثم يتلوه آخر .. ثم يقترح آخر تغيير هذه المحطة ؛ لكن هناك آخر يريد أن يعرف ماذا حدث للبطلة .. وماذا ستفعل بالجنين الذي في بطنها ؟ ! ! وهل سيعود البطل الوغد ليفي بوعده ويتزوجها ؟ ؟ وكيف يدخل رجل غريب إلى بيت تلك السيدة وأمام صغارها يختلي بها والكل يعرف ما يدور ؟ .. إن كل هذا صعب جداً على "الشخصية العربية" ؛ لأنها لا تريد أن تصل إلى المرحلة التي

وصلت إليها الشخصية الغربية في أوروبا وأمريكا حيث حسمت هذا الجدل منذ أكثر من قرن من الزمان . . ! ! هناك مشكلة لا تحظى بالالتفات المناسب لأنها - بالتقادم - لم تعد مشكلة ! !

الحكاية هي أن أوروبا في البدء كانت مثلنا فيما يتعلق بالأخلاق داخل الأسرة والجماعة والعشيرة والحي والمنطقة . . إلخ ، بل كان هناك نوع من التشدد لم نشهد له مثيلاً . . لكنهم رويداً رويداً قد خلعوا ملابسهم قطعة قطعة . . ومع كل تخلي عن قطعة ملابس كان هناك التضحية بقيمة ما - باتت شكلية - . . وهكذا رويداً رويداً صاروا إلى ماهم عليه الآن . . يعني حدث الأمر بالتدريج الشديد وليس أبداً بالفجائية الشنيعة التي نواجهها الآن بين عشية وضحاها . . هذا فارق أساسي للغاية : حدث هناك كل شيء خطوة خطوة . . حتى في نقطة تفادي الكلام عن الدين والكنيسة والقداسة وخلافه " هذا لا يعني عدم وجود متدينين كنسيين غاية في التزمت والتشدد " لكنهم قلة قليلة . .

الشيء الثاني الذي سار على التوازي مع تلك التخلصات من " قطع الملابس حتى الوصول للعري التام " كان هو الاستخدام العلمي في كافة مناحي الحياة . . فقد قاموا بتطوير وتصنيع وإعداد واختراع آلاف الأشياء " المادية المباشرة " التي جعلتهم في أول الصفوف بين البشر " علماً بأن عقليات غير أمريكية

وغير أوروبية ساهمت في ذلك - إلا أن النتيجة منسوبة إليهم بفعل أنشطة البحث العلمي التي لا حدود لها" ، بينما نحن لم نعرف بعد أنشطة بحث علمي يمكن بالمقارنة أن تذكر" ، ويقودنا ذلك إلى القول أن التفوق العلمي الغربي "الذي صنعه بنفسه لنفسه " قد سار جنباً لجنب مع التخلص من كثير مما يسمونه معوقات الحركة إلى الأمام . . فقد تمت التضحية بالمعاني العظمى مثل الكرامة . . النبل . . الميل لفعل الخير . . الرجولة . .الشهامة . . الأمومة . . الأبوة . . إلخ . . أي أنهم تخلوا - كما ترى - عن كل ما يحول دون الاندفاع إلى الأمام . . حتى دون "تبعثر" أو تعثر .

و من ذلك نعرف أن هؤلاء البشر "طينة" ونحن من طينة أخرى "لذلك يبدو غريباً جداً علينا وعليهم أن نكون " فرية واحدة ، لها ثقافة واحدة ، في عالم واحد"

يُروى أن الاسكندر الأكبر - الملقب بالاسكندر المقدوني ضبط متلبساً بالبكاء و هو ينظر إلى خريطة العالم - في ذلك الوقت - وحين سئل عن سبب بكائه و هو أعظم الفاتحين آنذاك ولم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره : نظر إلى الخريطة في حزن وقال : أبكي لأنه لم يعد هناك مكان آخر في العالم لأقوم بغزوه ! ! ماذا كان يريد الاسكندر الأكبر " الذي لم يتبق منه حتى الآن سوى عدة مدن تحمل اسم Alexandria الاسكندرية - وأشهرها على الإطلاق مدينة الإسكندرية الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في مصر ؟؟ كان يريد فرض ثقافته

الهيلينية على العالم.. واستبدال آلهة الغير بآلهته هو.. ولغة الغير بلغته هو.. وأسلوب حياة الغير بأسلوب حياته هو.. والتقاليد اليومية للشعوب الأخرى بأسلوب حياته هو، وهو الآن نفس الكلام الشائع عن الـ New Look وال Life Style التي يغازلنا بها الغرب..

لقد نجح الاسكندر في فرض ذلك بقوة السلاح وليس بعبقرية المصالحة أو الحق.. نجح لأنه لم يواجه من يفشله أو يوقفه عند حده حين كان استعمارياً نهاباً للثروات ميالاً للاستحواذ وبسط النفوذ، مثله مثل أي أسلوب استعماري في التاريخ منذ بدء الخليقة.

و ظل " النمط" الهليني الذي طرحه ووزعه على العالم الإسكندر ومن تبعه من نسله سائداً في مصر لقرون طويلة حتى جاءت الملكة كليوباترا -وهي آخر ملكات ذلك العصر اليوناني - جاءت بقوة أخرى لها ثقافة أخرى.. وكانت هي الأخرى ترغب في جعل العالم " قرية واحدة ذات شكل واحد تختاره.. ولها آلهة واحدة - وإن كان ليس مهماً لها من هي هذه الآلهة وما اسمها..

لم يكن الإسكندر الأكبر قد انتهى آنذاك.. بل كان باقياً من خلال سلالته الذين يتربعون على عرش العالم حتى جاء يوليوس قيصر.. بجحافله وفكره الجديد " بدون تليفزيون وبث مباشر في ذلك الوقت "، كان ذلك في عام ٣٠ قبل الميلاد

وأنهى بالسلاح آخر ملوك الدولة الهيلينية وتزوج وأنجب من كليوباترا " كنوع من الاتحاد والتواؤم " و دخلت مصر عهداً جديداً تحت حكم الرومان دامت قرون حتى وصلت رسالة الإسلام التي تهاوت أمامها كل القلاع الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت.. تُرى.. ماذا كان يريد يوليوس قيصر وسادته في روما البغيضة؟ لقد كانوا ببساطة يرغبون في إعادة صياغة العالم على هواهم.. وفق أسلوبهم في الحياة في المأكل والمشرب والتسلية.. بل وحتى في الألعاب الرياضية وشكل المعابد والأخذ بالأديان وغير ذلك..

ولأن لنا في التاريخ مدرسة لا تنقطع عن بث التعليم ليلاً ونهاراً، ولأننا في الجزيرة العربية وفي بلاد الشام وحتى في أقاصي بلاد الهند والسند وغيرها.. لو استرجعنا التاريخ لوجدنا أن الصراع بين الثقافات والأفكار مستمر استمرار الخليقة نفسها.. لكننا دوماً ننسى التاريخ و لا نتذكر سوى اللحظة الحاضرة - الآتية وكأن العالم - أو الوجود - فقط هو: الآن!!

كان يوليوس قيصر يريد أن ينصب نفسه إلهاً معبوداً في كل الإمبراطورية الرومانية - وقد دانت له معظم المدائن شرقاً وغرباً، ولكن هذا الإله المزعوم قتل على باب مدخل مجلس الشيوخ - على يد أعز أصدقائه.. ومنهم صديقه الحميم بروتس.. حتى شاع المثل الشهير.. حتى أنت يا بروتس؟ Even

you BRUTUS ، هكذا إذاً تموت الآلهة المصنوعة.. لأنها ليست آلهة - إنما مجرد أدوات ظلم شديد استطاعت في حينها أن تقوي قدراتها العسكرية ووسائل سيطرتها على العالم حتى تُدخِل في ظن العامة المسلوبة الفكر أنه إذا لم يكونوا آلهة.. فمن يكونون وهم بهذه القوة!!

وكما تهاوت الإمبراطورية الهلينية تحت وطأة "السادة الجدد" الرومان.. تهاوت الإمبراطورية الرومانية التي عاثت في الأرض فساداً تحت مسمى: لأننا الأقدر من حيث القوه والعلم والمعرفة والسلاح فمن واجبنا أن نفرض ذلك على الآخرين.. وعلى العالم أن يمشي وراءنا دون مقاومة وحتى دون جدل أو مناقشة - فمتى كان من حق ضعيف أن يجادل الأقوى؟!

إن المفهوم العصري الآن يدور حول مبدأ أن "القوة هي الحق" Might Is Right ومازال هذا هو المبدأ السائد الآن مهما أعيدت صياغة الكلمات ومهما تبدلت مراكز تلك القوى.. وإن كان الخجل وحده هو الذي يمنع " السادة الجدد أصحاب سلطان البث المباشر من الاعتراف بذلك "، وعوضاً عن ذلك فهم ينشرون مفردات ومصطلحات لا يختلف عليها فيلسوفان يقظان. فهناك الديمقراطية - الحرية - العلم الجديد - حقوق الإنسان.. ولا يقولون لنا أبداً - أي حرية - لأي إنسان.. ومتى أما الحقيقة القائلة بالعكس وهي: الحق هو القوة Right is Might فقد صارت عبارة جميلة من الناحية الفلسفية.. ممكنة من الناحية

الظنية . . هائلة المعنى .

الحق ! ! . . كلمة مكينة يستخدمها الأقوى وقد قوي عليها ؛ ويستخدمها الضعيف احتماء بها دون أن تحميه . ولأننا ذهبنا بعيداً من الإمبراطورية اليونانية إلى الرومانية – فقد ظن البعض أننا " ذهبنا " بعيداً عن موضوعنا الأساسي وهو فرض ثقافة الغير وأسلوب حياة الغير عبر طريق البث المباشر والفضائيات . أبداً . . نحن مازلنا في قلب الموضوع ؛ فلنتخيل معاً أن الإمبراطورية اليونانية أو الرومانية أو الدولة البيزنطية . . إلخ كانت لها فضائيات وكانت لها فرصة وسلطة وإمكانية طرح آرائها و ثقافتها عبر الهواء إلى كل بقاع العالم ! ! قد تصبح الصورة على النحو التالي :

كان بوسع تلك الإمبراطوريات أن تعيش وتتوسع و تتوحش أكثر مما فعلت ولكان لها جيش من المحررين والكتاب والمذيعين والمذيعات ومراسلي وكالات أنباء ومقابلات صحفية هنا وهناك . . . وكانوا سيتفننون في إطلاق التسميات والنعوت على قواتهم . . مثلاً : خبر عاجل : تحركت قواتنا المسلحة من جزيرة إيثكا أو من أسبرطة من أجل " تحرير " سكان وادي النيل أو سكان وادي الفرات . . أو سكان أرض نجد أو الحجاز من سطوة حكامها الذين يسيئون معاملتهم ! ! وتدور لقاءات مزيفة ومزورة " كما يحدث الآن " مع مواطن من وادي النيل أو وادي الدانوب . . أو وادي الفولجا حيث يشكو هذا المواطن من سوء

معاملة السلطة وأنه يستنجد بتلك القوة الهائلة لكي ترحمه من بطش أهله وجيرانه و حكامه ! ! !

وتتحرك تلك القوات لتقوم بهذا الإنجاز الحضاري الهائل وتعقد مؤتمرات الإشادة بذلك يشترك فيها البارزون من تلك الأمم !

مازلنا في قصة الحق هو القوة أو القوة هي الحق . . .

ولنلق نظرة خاطفة على العصر الاستعماري القريب :

- تحركت الأساطيل الصغيرة الشراعية في ذلك الوقت تجوب البحار والمحيطات محملة بفكر استغلالي بحت يحمل معه الصليب وكتاب الإنجيل المقدس " ووصلت إلى شاطئ الهند الغربية . . . وسواحل أمريكا . . . وصار كل هذا العالم في أقل من مائة سنه تحت سيطرة عدة دول : أسبانيا - البرتغال - إنجلترا وفرنسا حتى قامت حركات التحرر واحدة تلو الأخرى - وصار هناك نوع من التنازل اسمه " الحكم الذاتي " Autonomy مع بقاء صلب الحال على ما هو عليه : وكيف هي نتائج "القرية الصغيرة الواحدة وفرض ثقافة الآخر بالقوة " : صارت قارة أمريكا اللاتينية بالكامل تتحدث لغتين فقط لا غير - الأسبانية والبرتغالية . . وصارت أمريكا وأستراليا قارتين هائلتين بالإضافة إلى نيوزيلندا تتكلم الإنجليزية وتدين بالمسيحية . . كان أول ما يفعله الغزاة الأحرار المحررون هو إقامة كنيسة وبدء التبشير . . . كان المحرك الأساسي . . القوة هي الحق أما الحق نفسه فهو أمر

رمزي مطاط يختلف عليه - فما تراه أنت حقاً يراه الآخر باطلاً.. فليس هناك تعريف ثابت لمعنى كلمة " الحق " لأن هذه الكلمة مطاطة مرنة تمرمطها السياسة والعسكرية كما تفعل على مر التاريخ.

- ماذا لو حاولنا أن نقدم تفسيراً بسيطاً لهذه المقولة أو هذا السؤال الحائر " الحق هو القوة - القوة هي الحق Might is right or right is might ؟ !.. ببساطة حين يكون بيدك مدفع رشاش وخلفك مدرعة تميد الأرض من تحتها وفوقك مظلة قوية من القاذفات والمقاتلات، وحين تحمل صواريخك رؤوس نووية بوسعها الانطلاق من أي بقعه فوق اليابسة أو الماء أو تحت الماء... حين يكون من يملك ذلك كله مضلّلاً ظالماً فهل تحتاج إلى التفائل بالحق أم أنه في هذه الحالة يكون الحق ما يراه هو ؟ !.. لكن الحق العام والحق الأخلاقي الحزين الذين يريدون جعله مغلوباً على أمره يقول أنه ليس لديك أي حق في اقتحامي على هذا النحو.. فهل من حقك قتلي واستعبادي وجرّي قسراً للموافقة على شروطك لكي أظل على قيد الحياة ؟.. وتكون الإجابة هي ابتسامة الكاوبوي بمثله التعس GET LOST OR GO TO HILL عليك فقط أن تختار بين الأمرّين أو لتذهب إلى الجحيم، ولا عزاء للحق ولا عزاء للعدل ولا عزاء للمنطق ولا عزاء للأخلاق ولا عزاء لهؤلاء الذين ليس بوسعهم الرد بقوة وليس بوسعهم امتلاك "القوة" التي تواجه قوة مزعومة

كريهة اسمها القوة هي الحق.

نحن لا نريد فيما قلنا سلفاً أن نبعث على الضعف والهوان والضعة ولا نريد أن ننكر قيمة الحق وأنه الباقي رغم محاولات نسفه، فالحق أبقى، لكننا نريد أن نتذكر كيف يفكر أصحاب تلك القوى الغاشمة في نسف ثقافاتنا ومبادئنا لأننا إذا عرفنا لغتهم وكيفية تفكيرهم استطعنا مواجهتهم والوقوف أمامهم لأننا نؤمن أن الحق هو القوة وأننا سنستجلب القوة بالحق.. لكن التمني وحده ليس قادراً على تحقيق ذلك فالتمني بداية حقيقية لجهد وعلم وعمل هو البوابة الحقيقية لمواجهة هذا الهجوم القاسي علينا وعلى فكرنا وقوتنا وثقافتنا، ولأن علينا أن ندرك أننا حين نقوى من الداخل سنستطيع الفهم وحين نفهم سنستطيع المواجهة، وحين تكون المواجهة ذكية وعلمية ستكون محمودة العواقب مضمونة النتائج.

سنعود إلى ماكنا فيه.. وسنقفز إلى الأمام عدة قرون لنستقرئ الوضع، لأن ما حدث منذ ذلك الحين وحتى الآن به قدراً من التشابه يغفر لنا عدم الخوض في تفاصيل أكثر: كان ما حدث - ونقوله مرة أخرى: استخدام القوة بوصفها هي الحق من عند صاحبها.. وأن هذه القوة سارت معها جنباً إلى جنبا مبررات أفعالها وفلسفة فلاسفاتها وفكر مفكريها وعهر عاهراتها رجالاً ونساء؛ وكانت هي مبرر ما يفعله الظالم حين يبرر أفعاله مهما كانت قاسية خاطئة، كتلك التي فعلها جنود

أمريكا وبريطانيا بالأسرى العراقيين حين كانوا يسومونهم سوء العذاب ويرمونهم في البرد عرايا ويتفننون في تعذيبهم تحت شعار التحرير الذي جاءوا به لتحرير الشعب العراقي من بطش صدام وحزبه، رغم أنهم كانوا أقل ظلماً وتعذيباً لأن ظلم ذوي القربى في مثل هذه الحالات أرحم، وجاء رامسفيلد، وباول، وحتى الرئيس بوش الابن أيضاً.. يتحدثون عن تلك التصرفات الفردية على أنها خطأ فردي لا يجب أن يساق فيه الحكم على الشعب الأمريكي الطيب، بينما هم في الوقت نفسه يرفضون فيه اعتبار تصرفات منفذي ١١ سبتمبر تصرفات فردية لا يجب أن يساق في الحكم على العرب والمسلمين!!.. إنه منطق القوة التي لا تعرف الحق، تلك القوة التي ترى أن هذه أماكن بربرية من العالم وأن من واجبها كقوى أن تساعد أبناء هذه الأماكن على النهوض والتعليم خاصة إذا كانت تلك المناطق بترولية غنية، أما تلك الأماكن النائية الفقيرة التي يعاني سكانها من أقل مقومات الحق في الحياة فلها الله، يعني.. ببساطة.. تلك القوى تريد أن تجعل نفسها في الأماكن التي تختارها بصورة أو بأخرى وتلك هي " الأخوة " في السياسة القديمة والحديثة.

أتذكر وأنا أكتب هذه الصفحات هتلر.. حين سكب وزوجته إيفا براون البنزين على نفسيهما وتفحما معاً في قبو كان يحتميان به... فعل ذلك هتلر عندما دوت أصوات المدافع والدبابات فوق رأسه تعلن له ببساطة أنه قد فشل فشلاً ذريعاً

وأن قوات الحلفاء تدك برلين وأنه لا محالة واقع في الأسر وقد يشنق جراء ما فعل كما شنق موسوليني ليصبح عبرة لمن يعتبر. ماذا كان يريد هتلر حينما أشعل حربا عالمية - وكانت دول المحور هي ألمانيا النازية و إيطاليا الفاشية والعسكرية اليابانية الرهيبة بينما كانت دول الحلفاء هي إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية "العالم الحر زعماً وخداعاً" ومعهم الاتحاد السوفيتي بشيوعيته غير القابلة للاستئناس وما تبعهم من صغار الدول الأخرى بصورة أو بأخرى - هتلر كان يزعم بتفوق الجنس الآري - ويرى أن بقية شعوب الأرض ماهي إلا حثالة بحاجة إلى زعامته وقيادته وفرض مذهبه وأخلاقه وأسلوبه على بقية دول العالم.

ببساطة.. هتلر كان يريد أن يحول العالم بالقوة إلى " قرية صغيرة متحدة " وواحدة تحت علم واحد وأخلاق واحدة وLIFE STYLE واحد: لم يكن هتلر في ذلك يختلف عن أي شبيه آخر سوى في بعض تفاصيل الأداء فهو: الدعاية الرهيبة لما يفعل. كان وزيره الأفضل على الإطلاق في الدعاية هو جوبلز الذي كانت أساليب دعايته الشيطانية " العلام مسار إعجاب ودهشة - بل ومازالت مسار دراسة وتحليل، كان الجديد هذه المرة - في تطور عملية الاستحواذ على الغير بالقوة هو الدعاية المدروسة لتلك القوة في كافة مراحلها " حتى حين صارت ألمانيا تنزف ما بقي من دمائها قبل الاستسلام ظلت الدعاية تعمل

وتشيد بانتصارات خرافية كاذبة على الجبهة الشرقية EASTERN FRONT مع الاتحاد السوفييتي وفي المحيطات على الأساطيل في كل موقع ومكان. كانت لديه خطة صريحة وواضحة منذ وصوله للسلطة عام ١٩٣٣ "صياغة أوروبا واحدة على هواه ثم عالم واحد بالكامل يسوده الدم الألماني الآري المتفوق مدى الحياة.. كان يفعل ذلك لأنه كان يمتلك قوة رأى أنها الحق والأحق ففرض سيطرته لكن سوء حظه العاثر أوقعه مع قوى أخرى ترى أنها الأحق ومن الأفضل لها أن تموت إذا لم تثبت العكس، واتفقت في ذلك قوى متعارضة ومتضاربة فكرياً وعقائدياً " الرأسمالية الأمريكية ومعها كل أوروبا في حلف واحد مع الشيوعية - العدو اللدود للمعسكر الغربي حتى بداية التسعينات بقيادة ستالين الذي ضحى ببساطة وهدوء بخمسة وعشرين مليون آدمي حتى وصل إلى برلين ليستولي بعد ذلك على ما عرف بأوروبا الشرقية ووقفت قواته في قلب برلين ".

- سقط هتلر وموسوليني وقذفت هيروشيما وناجازاكي بالقنابل الذرية لأول مرة في التاريخ بواسطة الوحش النووي الأمريكي " مع مراعاة الأخلاق التي تحرم هذا السلاح وغيره من أسلحة الدمار الشامل التي يفتش عنها العالم الحر تحت المباني في العالم غير الحر "، واستسلم إمبراطور اليابان بدون قيد أو شرط.. ومنذ ذلك الحين والقوات الأمريكية حتى الآن ترى أنها الأقوى ومن ثم هي الأحق، وكذلك فعلت روسيا وبدأت

تحديات جديدة ودخل العالم في صراع جديد.. فمن هو الأقوى ومن ثم الأحق بقيادة العالم بعد الحرب؟ هل هو المعسكر الغربي بقيادة أمريكا أم هو المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفييتي " الذي حصل تقريباً على ما يعادل ثلث مساحة الكرة الأرضية ونشر عليها سلطانه وفكره واشتراكيته"؟! وبدأت حرب طويلة وباردة احتلت نصف قرن من الزمان حتى تهاوي الاتحاد السوفييتي وتفككت إمبراطوريته الرهيبة وصارت تعاني صراعات وحروباً وانقسامات وفقراً وبعضاً من الهوان الذي تلي التواجد في المركز السابع أو الثامن بعد احتلال المركز شبه الأول لأكثر من خمسة عقود كاملة.. بعد سقوط الاتحاد السوفييتي صارت قيادة العالم تتجه نحو القيادة الأحادية المطلقة بدون منازع وبغير نزاع يذكر مرة هنا ومرة هناك.

وإذ كان من المنطقي أن نتوقف عند " الأحادية المطلقة " فمن العقل أن نقول أن كلمة الأحادية تصدر عن الكلمة «واحد» لأننا نعلم - وقد يعلم غيرنا - بأنه لا يوجد واحد على الإطلاق إلا الله، ولعل القبول التاريخي والديني لوحدانية الله هو المنطق الكامن في العدالة المطلقة للواحد الأحد. لأن من الصعب التصور وجود " واحد آخر" ينازعه هذه المنزلة التي قبلها البشر من منطلق واحد وأكيد وهو: أنه الواحد الأحد العادل الكامل المهيمن القادر.. إلخ وقبولنا للوحدانية تلك - أو أحادية الخالق لها ما يبررها - لأنه هو الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى.. وبوصفه

هو الفاعل الأوحد في الوجود والموجودات فلا مراجعة لقضائه ولا مساءلة على الإطلاق فيما خلق وأبدع وصوّر.. إلخ، وكل هذه الصفات إلهية. وإذا كانت القلوب قبل العقول قد أقرت بذلك عن يقين فهي تدرك أنه لا مجال للمنازعة أو المجادلة في وحدانية الله وأنه هو الحق وهو القوة.. وأن لا جدال في الإيمان بذلك، إلا أننا في المقابل حين نسمع من يتحدث عن مصطلح أن الحق هو القوة أو أن القوة هي الحق فإنما يتحدث عنها من خلال منظور دنيوي لأن تلك المصطلحات الفاسدة هي مجرد صياغات بشرية يتم التعامل بها عند اللزوم لأغراض شخصية ولدواعي المصلحة والضرورة.

كانت هذه الكلمات القليلة عن الأحادية والواحد والوحدانية بالغة الضرورة للتدليل على استحالة أن يتحكم في شؤون الأرض من هو على وجه الأرض، لأن الله هو الخالق المدبر لكن خلقه يتصارعون كما أراد لهم، وأنّى لهم أن يجدون على وجه الأرض جانب واحد أحادي يدّعي أنه الأكثر إدراكاً للعدل والحق والواجب والحرية والديمقراطية وأنه الأعرف بالماضي والآتي.. وأنه الأقدر على كل أشكال إعادة الصياغة من أول الحمل في الجنين حتى مثواره نحو القبر.. فليس مقبولاً خرق الموازين لأن لكل ميزان كفتان ولأي عملة وجهان ولكل نظرية ما يناهضها ولكل فعل رد فعل.

وإذا ما كان لهذا العالم في يومنا هذا " قطبٌ واحد يجب

التودد إليه والانصياع لأوامره والانتهاء عن نواهيه والخوف من جبروته والعمل على استرضائه بالباطل والتذلل والتزلف له سعياً وراء المشي في ركابه وجرياً خلفه ولهثاً في تنفيذ مطالبه صانعين من أنفسنا أذناباً فإننا سوف نظل نتدحرج من حفرة إلى حفرة ومن مستنقع لآخر ومن هزال لعجز ومن عجز إلى موت، وإذا ما صارت الصورة على هذا النحو فقد ربح الطاغوت معركة عظمى دون مقاومة تذكر من هؤلاء الذين رفضوا المقاومة واستسهلوا الانقياد.. وقل في ذلك ما شئت يا قائل.

لكن دعنا أولاً نناقش هذا المشهد المشين لتلك الجهة الفاعلة الواحدة - دون رغبة منها في الإساءة من باب قلة الحياة أو سلاطة اللسان أو الجعجعة بغير طحن!!

لقد نشأت الدولة الأمريكية على أشلاء سكان القارة الأصليين وعملت عامدة متعمدة على نسف وجودهم من جذورها.. ومن كانوا هؤلاء الذين قدموا في مراكبهم وسفنهم عبر المحيط ليحطوا على سواحل أمريكا ثم من تبعهم بالهجرة أو التهجير إلى هناك!! كانوا في مجملهم حفنة من المغامرين أو المضطهدين أو المجرمين الخارجين على القانون والباحثين عن الثروة لم تكن هناك صعوبة تذكر في احتلال ما وقعت عليه أعينهم... وسرعان ما راحت أوروبا كلها إلى هناك بقيادة الإنجليز والفرنسيين... وصارت حروب داخلية طاحنة أعقبها تثبيت شكل من أشكال الحكم هناك!! لكن الأراضي كانت

شاسعة والثروات مهولة.. وكان لابد من وجود أيدي عاملة... تعاملوا بشراسة ووحشية مع الزنوج في أفريقيا من أجل جلبهم من هناك مكبلين بالأغلال من أجل زراعة القطن والقيام بالأعمال الشاقة - كانوا عبيداً وظلوا يعاملون على هذا النحو ويعانون من تلك العبودية والتفرقة حتى ستينات القرن الماضي حيث كانت اللافتات على المجال تعلق تقول: ممنوع دخول الزنوج والكلاب!!

كانت ثقافتهم ثقافة عنف وقسوة هذا ما كان من جذورهم - وهل يتعد الفرع مهما طال الأمد عن الجذور والأصول؟ علم الجينات يقول لنا ما قلنا به والآن هؤلاء يقفون فوق قمة المجد المفضوح وحدهم ومنطقهم واحد بسيط: القوة هي الحق ومن لا يعجبه ذلك فليعلن عن نفسه - وإياك أن تهمس بغير ذلك لأن أجهزة التصنت والمراقبة ترصدك في كل مكان، هذه هي السيطرة الأحادية التي تريد أن تحول العالم إلى قرية إلكترونية واحدة متحدة لحسابها وحسب إملاءاتها وشروطها.. والمنفذ الأسهل المتاح لذلك هو البث المباشر الذي نعاود الكلام بشأنه وبشأن تفصيلاته وتفاصيله وأثره على العالم العربي خصوصاً كسلاح ينضم مع الأسلحة الأخرى التي توجّه فوهاتها نحونا.

نحن إذا في حالة تعرض علني لأفعال فاضحة من خلال البث المباشر - بغثه المباشر- عبر الفضائيات حيث لم يعد تأثيره السلبي على الأسرة محل نقاش أو جدل. وتجدر الإشارة إلى أنه

في الماضي كان من أهم اهتمامات الأسرة توفير وسائل اللهو والسمر البسيطة التي لا تتعدى نطاق الأسرة، لكن وسائل الإعلام والاتصال جاءت بجحافلها البراقة لتنقل هذه الوسائل خارج نطاق الأسرة وتأخذها في امتداد لما يحدث للأسرة من خلال المجتمع العام الذي بدأ يسلبها وظائفها واحدة تلو الأخرى بعد أن ينشأ لكل وظيفة منها هيئة خاصة على أسس مستقلة، فانتزعت من الأسرة وظيفتها التشريعية التي تحولت إلى المجالس الشرطية والنيابية وما إليها من هيئات تمارس نفس العمل، كما انتزعت منها وظيفتها الدينية حيث جعلت التعلم والسلوك الديني مسؤولية غير الأسرة بإدخال مفاهيم وقناعات جديدة، هذا بالإضافة إلى انتزاعها من الأسرة أيضاً معظم وظائفها التعليمية والثقافية التي تبناها الإعلام والتعليم.

لقد أصبحت وسائل الإعلام في العصر الحديث ضرورة من ضروريات الحياة الأسرية تمثل أحياناً دور البديل للترفيه والتعليم والتثقيف، ولذا كان من الضروري التعرض لتأثير وسائل الإعلام وبشكل مكثف أكثر دراسة تأثيرها على العلاقات الاجتماعية بصفة عامة، من ثم تناول تأثير تلك الوسائل على الأسرة بصفة خاصة كأهم نظام في النظم الاجتماعية البارزة في المجتمع.

وإذا كانت العلاقات الاجتماعية تتمثل في الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد والمجتمع، وهي تنشأ تلقائياً من طبيعة

اجتماعهم بعضهم بالبعض الآخر ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع، فإن هذه العلاقات الاجتماعية تختلف في طبيعتها فمنها ما يؤدي إلى التجمع والتآلف وهي تسمى بالعلاقات المجمعة أو البناءة CONSTRUCTIVE RELATIONS وقد تسمى أيضاً بالعلاقات الإيجابية، ومن أمثلة هذه العلاقات "التعاون، التودد و الحب و الزواج، الثناء، والتعارف" .. بينما نجد أن من العلاقات ما يؤدي إلى التفكك والتنافر الاجتماعي من خلال العلاقات المفرقة أو الهدامة DESTRACTIVE وقد يطلق عليها العلاقات السلبية PASSIVE ومن أمثلة هذا النوع الكراهية، الصراع، الطلاق، الحرب، الفوارق الطبقية، العلاقات الناشئة عن عدم المساواة، والعلاقات الناشئة عن الاستسلام والخضوع والإذلال، وهذه العلاقات وما إليها تؤدي إلى التنافر والتفكك الاجتماعي وتعمل عملها على تقويض دعائم وحدة المجتمع وتحول دون اتجاهه إلى وحدة القصد ووحدة الهدف.

وتؤثر وسائل الإعلام على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد انطلاقاً من الصبغة الاجتماعية للسلوك الإنساني والذي يختلف تبعاً للوسيلة الإعلامية.. ففي الخمسينات من القرن العشرين كان المفهوم السائد عن استخدام وسائل الإعلام على أنه سلوك انعزالي اغترابي مفرق، ولكن وسائل الإعلام ذابت في الحياة الاجتماعية واندمجت داخل سلوكيات الجماعة فتنبه الباحثون

إلى أن استخدام وسائل الإعلام فعل اجتماعي مع شخص أو أكثر وهو أيضاً فعل اتصالي. فالتليفزيون - الوسيلة الأولى- تتم مشاهدته عادة داخل نطاق الأسرة، ويكون الفرد مندمجاً تماماً مع نماذج التفاعل الأسري. ونظراً لأن البعض يرى أن استخدام وسائل الإعلام طريق إلى سلوك اجتماعي فقد اهتم كثير من الباحثين بالاستخدامات الاجتماعية للتليفزيون. وقد قسم جيمس لول GAMES LULL سبيل المثال الاستخدامات الاجتماعية للتليفزيون إلى مجموعتين رئيسيتين:

١ - الاستخدامات البنائية: وهناك نموذجان من الاستخدامات البنائية:

أ) - استخدامات بينية، فالتليفزيون يشكل خلفية صاخبة دائمة ومصدراً للمتعة في المنزل، وانتباه الأسرة للتليفزيون ينقله من الخلفية إلى الصدارة بين الحين والآخر، كما يستخدم التليفزيون كمرافق للنشاطات الأخرى حيث يقدم الترفيه المستمر لأفراد الأسرة، في بعض الأحيان القليلة التي لا يكون فيها البرنامج باعثاً على الغثيان أو الضجر.

ب) استخدامات تنظيمية: يمتلك التليفزيون المقدرة على تحفيز " وليس تقرير أو تحديد النماذج اليومية للحياة، حيث تقضي الأسرة أغلب الوقت ويقوم أفرادها بمعظم الأعمال الأساسية داخل المنزل مما يعرضها لتأثير التليفزيون، وقد يبدأ الفرد نشاطه أو ينهيه تبعاً لتوقيت أحد البرامج، كما أن إيقاع

الحديث بين الأفراد أثناء المشاهدة يتأثر بنوعية البرنامج المعروض.

رأينا إذاً أن التليفزيون قد صار زائراً مقيماً وله كل حقوق الضيف اللحوح الذي يمسك بك من تلابيبك ويلعب في فكرك ويعبث بمشاعرك، ناهيك - في بعض البرنامج - عن سوء القصد المدروس الذي يعنى بإعلاء قيمة ما على حساب أخرى أو الدعاية لشيء ما قد يكون في صلبه ضار للغاية " لكن الأسرة تظل طوال الوقت في حالة تعرض سلبية من كافة القنوات ولكل اللغات والصور.

طبعاً من غير المنطقي القول بأن هذا البث المباشر عبر شاشات التليفزيون هو شر مستطير لأن الواقع يقول أنه قد يكون - إن صلحت النوايا- مصدراً هائلاً للتسلية وقتل الوقت والإفادة والمعرفة.. إلخ، لذلك تلعب وسائل الإعلام دور الوسيط بين الواقع الاجتماعي الموضوعي والخبرة الشخصية لأنها تمد الأفراد بالمعلومات التي لا يستطيعون معرفتها عن مجتمع من المجتمعات عن طريق الخبرة الشخصية المباشرة حيث أن اتصال الأفراد مثلاً بالحكومة والقادة السياسيين غالباً ما يتم من خلال معلومات مستمدة من وسائل الإعلام؛ كما أن إدراك أفراد المجتمع للجماعات والأفراد في المجتمعات الأخرى يكون من خلال المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام، و تجدر الإشارة هنا إلى أن التوسط المعنى هنا يمكن أن يحدث بعدة طرق تختلف

من حيث درجة ونوع النشاط والهدف والتفاعلية والتأثر. لذلك فإن من الممكن اعتبار وسائل الإعلام نافذة حقيقية تتيح لنا الاطلاع على خبرات أخرى حيث توسع رؤية الفرد وتمكنه من الاطلاع على ما يحدث؛ كما يفسر ويوضح ويشرح الأحداث المتناثرة في كافة أرجاء العالم ويعد منبراً حاملاً للآراء والمعلومات.

وهنا يجب الحذر من مسألة كونه منبراً - فهناك من المنابر ما هو هدام عن قصد، أو فاسد - حسب خطة القائمين عليه "؛ وهو فلتر تمر من خلاله الخبرات ذات الأهمية الخاصة بالإضافة إلى كونه مرآة تعكس للمجتمع صورة عن نفسه، كما أنه أيضاً - وهذا ما يعنينا كثيراً قد يكون ستاراً عائقاً - يحجب الحقيقة لأغراض دعائية وهروبية.. والأمثلة الدالة على ذلك بالآلاف لو أنك دققت بعض الشيء في سيل الأخبار الملفقة والمبالغ فيها عن عمد للتغطية على واقع ما أو واقعة ما في السياسة أو الاقتصاد أو حركة المجتمع أو الرأي الآخر أو أي درجة حدة من المعارضة!!

في هذا المجال يجدر بنا إعادة ما قاله عالم الاجتماع " مارشال ماكلوهان" منذ بداية الستينات حين دعا المهتمين بمجال الإعلام إلى ضرورة دراسة تأثير التليفزيون على حياة الأسرة حيث كان يرى أن جهاز التليفزيون هذا قد قام بتغيير ملحوظ في حياة الأسرة وتدخل بشكل كبير حتى في أدق تفاصيلها اليومية،

وأدّى - على سبيل المثال - إلى إعادة تنظيم غرفة المعيشة، ونقل صورة وطريقة تناول الطعام حيث أصبح تناول الطعام بجانبه أو أمامه، وغيّر طريقة التجمع داخل الأسرة حيث بدأ الأفراد يدعون بعضهم البعض لمشاهدة برامج معينة أكثر من دعوتهم البعض لحل مشكلاتهم، وأصبحت التعاملات والتفاعلات بين الأفراد محصورة في أوقات الفقرات الإعلانية داخل البرنامج الواحد أو في الفترات التي تأتي بين البرامج. وهو ما يمكننا من القول أن الأفراد يتفاعلون مع وسائل الإعلام على حساب تفاعلهم مع الأفراد داخل نفس الحجرة.

ولكي نعطي الموضوع صورة قريبة للواقع، وجدنا أن من المهم أن ندرس الظاهرة من جانب إحصائي حقيقي، وقمنا بدراسات ميدانية داخل الجامعات وبين فئات الشباب داخل وخارج المنزل، وتطرقنا إلى تحليل مضمون العديد من الأعمال التي يتعرض لها المشاهد وقت الدراسة. فقد كان ذلك ضرورياً لنلقي بعض الضوء على حقيقة نتائج تلك الإحصائيات النمطية للفرجة على التليفزيون وكمية التعرض Exposure التي يسعى إليها الفرد مكرهاً أو مضطراً بحكم وجوده بين الجدران، وما هو شكل التأثر.. فهذه الإحصائيات تؤكد أننا نتعامل مع قضية هامة وتعطي صورة حقيقية لحجم الظاهرة وضرورة تناولها.

أولاً: أنماط مشاهدة التليفزيون داخل الأسرة:

- لقد خلصت بعض الدراسات إلى أن مشاهدة التليفزيون

كلها تقريباً تحدث بنسبة ٩٢,٧٪ في المنزل أو في منزل أحد الأقارب أو الأصدقاء، وأن ٣٥٪ من الوقت الذي يقضيه الناس في مشاهدة التليفزيون وأن نسبته ٧٥٪ من المشاهدة تحدث في غرفة المعيشة بينما كانت نسبة المشاهدة في غرفة النوم ١٦,٧٪ بينما كانت نسبة ٦,٦ ٪ من المشاهدة تحدث في غرف أخرى أو في ملاحق خارج دائرة المنزل، وأن كثيراً من الناس يشاهدون التليفزيون في العادة مع أشخاص يعرفونهم جيداً، وقد وجد "Mcleodetal" أنه عند حدوث المشاهدة المشتركة فإن الناس المتماثلين يشاهدون التلفزيون مع بعضهم، فالزوجين مع بعضهم والأطفال مع بعضهم من نفس السن " أكثر من مشاهدتهم مع غير المتشابهين" " الأباء الأولاد - الأطفال الصغار مع الأطفال الكبار " ويمكن تفسير ذلك في ضوء تأثير السن على طبيعة التعرض للبرامج حيث يفضل الأطفال الصغار مثلاً مشاهدة برامج الأطفال بينما من هم في سن المراهقة يميلون إلى مشاهدة برامج المنوعات والأعمال الدرامية أكثر ليسعورهم بأنهم قد نضجوا.

- وهناك تأثير واجب الذكر للتليفزيون على التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة.. فقد اختلفت نتائج الدراسات في تحديد تأثير التليفزيون على التفاعل الاجتماعي بالنسبة لأفراد الأسرة حيث هناك من أشار إلى خطورته على التفاعل بين الأفراد بينما أوضح البعض الآخر أنه يعطي فرصه لتنمية العلاقات بين

الأسرة والتفاعل بينهم، وقد أشارت دراسة IRENE GOODMAN التي نشرت في كتاب Family Television عند استعراضها لتأثير التليفزيون على التفاعل الاجتماعي لأفراد الأسرة أثناء المشاهدة أنه في بعض الأسر تكون مشاهدة التليفزيون هي الوقت المناسب للزوجين للتواصل الحسي أو لأفراد آخرين من الأسرة للتعبير عن عواطفهم؛ كما أن الأسرة في أحيان كثيرة تستخدم التليفزيون كوسيلة ثواب وعقاب للأطفال والكبار على حد سواء - فالزوج مثلاً بوسعه المبالغة في مشاهدة كرة القدم أو الألعاب الرياضية عموماً لكي يضايق زوجته التي أزعجته في وقت سابق.. كما أن الأسرة تستخدم التليفزيون للتغلب على الضغط والإجهاد من العالم الخارجي، كما أوضح Robinson أن التليفزيون يؤثر في حياة الأسرة من نواحي وجوانب معينة؛ فانخفاض النشاطات الفردية كالقراءة والنوم والذهاب إلى السينما يجب أن يؤدي زيادة فرصة التفاعل الأسرة كما أن نقص المحادثة والمشاركة في الحياة الاجتماعية يشير إلى الانخفاض العام في التفاعل الأسري، خاصة بين أفراد الأسرة مع غيرهم من الأسر الأخرى. وتشير النتائج إلى أن مالكي أجهزة التليفزيون يقضون تقريباً نصف الوقت يومياً بين الجدران مما ينتج عنه انخفاض نسبة خروجهم إلى الساحات والحدائق والشرفات، كما أنهم قليلاً ما يقضون الوقت بمفردهم أكثر من غير المالكين للتلفزيون الذين يكونون

غالباً مع أفراد أسرتهم؛ وهذا ينعكس بوضوح على تواصلهم مع الأصدقاء والجيران والأقارب. وقد أطلق MEDRIOR مصطلحاً جديداً على التليفزيون لتوضيح دورة في التفاعل الاجتماعي حيث عرف المنازل ذات التليفزيون المستمر أو المتواصل: على أنها تلك المنازل التي فيها التليفزيون مفتوحاً معظم فترات اليوم سواء أكان هناك من يشاهده أو لا، وقد أوضح أن الأسر التي تشاهد التليفزيون بشكل متواصل تكون الأمهات فيها أقل تعليماً، ودخل الأسرة أقل.. بما معناه أن عدد المنازل التي تشاهد التليفزيون بشكل مستمر تنخفض بارتفاع مستوى الدخل والمستوى التعليمي للأمهات؛ كما تتسم هذه الأسر كذلك بضعف المصادر الثقافية والمادية التي تتعامل معها وتتميز بأن أغلب أفرادها لا يشعرون بالخصوصية بسبب ازدحام المنزل بالناس. في مثل هذه الظروف يشكل التليفزيون قوى مؤثرة وخاصة، ولا شك في أن بيئة التليفزيون المتواصل ترتبط مع المعدلات العالمية لمشاهدة التليفزيون. فأفراد الأسرة في المنازل ذات التليفزيون المتواصل غالبا ما يشاهدون أكثر مما يريدون مشاهدته لأنهم يشاهدون التليفزيون بسبب كبر حجم وقت الفراغ عندهم، ولذا فإنهم يشاهدون ما يعرض عليهم وليس ما يريدون مشاهدته.. وتشير النتائج بأن مشاهدة التليفزيون الموجهة من الوالدين موجودة بشكل رئيس في الطبقة المتوسطة أكثر من غيرها!!

- ويقترح خبراء الإعلام الآن أن تتحول بحوث الإعلام من التركيز على محتوى التليفزيون إلى مناقشة فكرة التليفزيون كخلفية متواصلة للحياة اليومية أي فكرة التليفزيون كبيئة مهيمنة على حياة الأسرة.. وتوصل الباحثون أنه عند سؤال الأفراد عما يجعل الحياة ذات مغزى يعطون إجابات متطابقة تشير إلى الروابط الاجتماعية: الأصدقاء، الزملاء، الأسرة، الجيران، الأحبة، فهذه الجماعات الأولية تمد الفرد بالشعور بوحدة الهوية والهدف، وبالروابط العاطفية الثابتة وبالضبط الاجتماعي المباشر وهي المزود الوحيد لكل هذه الوظائف.

وأصبحت وظائف الجماعة الأولية تتحقق إلى حد ما، بواسطة مصدر آخر هو وسائل الإعلام الجماهيرية والتطورات التقنية في مجال وسائل الإعلام، وعقد الثمانينات ساعدها على هذا حيث أصبحت قادرة طوال الوقت على تقديم المتعة من خلال التفاعل معها وتدريجياً انتشرت وحلت مكان الاتصال الشخصي مع الأسرة والأصدقاء والجيران، وكانت النتيجة نشوء نوع جديد من الجماعات الأولية، مختلفة البيئة، ولكنه يقدم الكثير من المنافع التي تحققها الجماعات الأولية التقليدية.

ويؤثر التليفزيون باعتباره أقرب المصادر للاتصال الشخصي على خبرات الحياة اليومية.. حيث تؤكد نتائج البحث أن الناس غالباً ما يشتركون في نشاطات أخرى أثناء المشاهدة أهمها المحادثة، كما أن المشاهدة مع الأسرة تكون بوضوح تجربة أكثر

إيجابية من المشاهدة المنعزلة لأنها أكثر تنبه ومرح واجتماعية حيث يترافق معها التفاعل الأسري والمحادثة وغير ذلك من النشاطات الثانوية.

ويلاحظ أن معدل زيادة مشاهدة التليفزيون يرتبط إيجابياً مع مقدار الوقت الذي يقضيه المراهقون مع أسرهم، ويرتبط سلبياً مع مقدار الوقت الذي يقضوه مع أصدقائهم. ولكن في بعض الأحوال تكون المشاهدة المشتركة مثيرة للمشاكل خاصة عندما يستمر أحد الوالدين " الأب خاصة " في مشاهدة التليفزيون متجاهلاً أفراد الأسرة الآخرين؛ فكثيراً ما يشكو البالغين من أن الشريك " الزوج غالباً " يفضل مشاهدة التليفزيون على التحدث إليهم أو سماعهم.

ويشير gerbner إلى أن الدين والتعليم والإعلام أنظمة تثقف الفرد وتعرفه على المعايير والعادات والمحرمات taboo في المجتمع، وما يفرق الإعلام والدين عن غيرهما هو أنهما مستمران ومتكرران طوال حياة الفرد.

وأشارت الدراسة كذلك إلى أن ثلاثة أرباع الوقت المخصص لوسائل الإعلام ينقضي مع التلفزيون، كما أن ثلث وقت الفراغ يشاهد فيه التليفزيون كنشاط رئيسي، وأن التليفزيون يحتل المرتبة الثالثة في استهلاك الوقت بعد النوم والعمل.

ولمعرفة طبيعة حياة الأسرة بدون جهاز تليفزيون أجرت الباحثة Patricia edger دراسة على عينة منطوية من ٢٩٨

أسرة في ملبورن في أستراليا لا يملكون تليفزيون ومتوسط أعمارهم ٣٩ سنة ومستوي تعليمهم أعلى من المعدل العام في أستراليا. وقد جاءت النتائج مثيرة إلى أنهم يعيشون حياة اجتماعية نشيطة - فما نسبته ٩٣,١٪ من الرجال و٩٣٪ من النساء يرأسون أو أعضاء في جمعية أو نادي اجتماعي واحد على الأقل، و ٩٦٪ من المبحوثين ذكروا أنهم يقرؤون الكثير من المواد المختلفة؛ وأن ٤٠٪ فأكثر قادرون على العزف على آلة موسيقية أو أكثر ومعظمهم يفضلون المسرح على السينما، والسبب الرئيسي لعدم اقتنائهم التليفزيون يعود إلى اعتقادهم بأنه مضيعة الوقت وبرامجه فقيرة المضمون والتأثير؛ وأن استغلال الوقت في أي شيء آخر هو أكثر فائدة من التليفزيون، بينما رأى كثير منهم أن جهاز التليفزيون مهيمن ولا يمكن مقاومته وقارنوه بالعقاقير المهدئة، فهو يبدد الأحاسيس ويثبت المقدرة على الاستجابة كما اعتبره آخرون إدمان يخشون قوته ويعرفون آثاره السيئة الواضحة لأصدقائهم وأقاربهم والمجتمع بشكل عام، وأكد كثير منهم أنهم لا يستطيعون الاكتفاء بمشاهدة البرنامج الذي يرغبون في مشاهدته حقاً؛ بل يستمرون دون توقف أياً كان البرنامج التالي. ورأى بعضهم أن التليفزيون يكسر العلاقة الأسرية المألوفة ويمنع المحادثات والتواصل ويخلق الخلافات والمشاكل وقد يكون عاملاً من عوامل الطلاق. ويشعر المبحوثون عموماً بأن العلاقات

الاجتماعية قد أفسدت في الوقت الحالي والتليفزيون ساهم في ارتكاب هذا الفساد، حيث أدى إلى زيادة التعصب واللامبالاة ونقص الاهتمام بالآخرين وكلها علامات للانعزال الاجتماعي الذي فاقمه التليفزيون.

وإضافة إلى ذلك هاجم أفراد العينة مضمون التليفزيون رغم عدم ارتباطها برفض شراء التليفزيون أنها مجموعة مملة ومهينة للذكاء وسيئة الذوق وتتحمل جزءاً من تبعة زيادة مستويات الأمية وانتشار القيم المادية والخضوع بصفة عامة لما هو مطروح عبر الشاشات بحق أو بغير حق.

ومن خلال ما سبق يتضح أن قضية تأثير التليفزيون على الأسرة مازالت قضية جدلية لم تحسم بعد حيث أن بعض الدراسات أوضحت أنه يزيد من التفاعل داخل الأسرة نظراً لأنه يوجد مادة للحديث حيث يتحدث أفراد الأسرة مع بعضهم حول ما يشاهدون، بينما بعض الدراسات الأخرى أكدت على أنه يقلل من التفاعل ويزيد من شعور الأفراد داخل الأسرة بالوحدة والانعزال عن الآخرين.

التليفزيون والشباب

مجمل القول في موضوع " من هم الشباب " هو القول الذي يفيد بأن مرحلة الشباب هي مرحلة انتقال بين الطفولة والرشد وأنها صاحبة سمات مميزة عما يسبقها من مراحل وما يأتي بعدها . . . وأن أهم هذه السمات :

١ - الديناميكية والحركة

٢ - الاندفاع نحو الجديد من الأفكار والقيم

٣ - الإقبال على المستقبل

٤ - رفض الواقع والتمرد على الكثير من الثوابت .

وتجدر الإشارة إلى أن قضية تأثير وسائل الإعلام على الشباب قضية جدلية " مثلما هي جدلية على كل مناحي الحياة الاجتماعية " ؛ حيث هناك من يري أن تأثير وسائل الإعلام على الشباب تأثيراً إيجابياً إذ تزيد وسائل الإعلام من معارفه وتجعله على دراية بأخبار المجتمع والتفاعلات المحلية التي تدور حوله كما تجعله يدرك ما يحدث في كل أنحاء العالم، بينما يرى البعض الآخر أن تأثير وسائل الإعلام تأثيرًا محلياً سلبياً - حيث أصبحت وسائل الإعلام وفي طليعتها التليفزيون اليوم قادرة

على مصادرة جوانب الإبداع والتفاعل لدى الإنسان على الرغم من الإسهام الثقافي الإيجابي في بعض الجوانب والميادين التي تتعلق بالبرامج الثقافية والعلمية والتعليمية؛ والثقافة حتى الإيجابيه منها تقدم للمشاهد والمتمع معارف جاهزة لا يبذل فيها أي جهد وليست له أي مبادرة حيث يكون الإنسان في حالة استسلام وسلبية دائمين عندما يتعلق الأمر بمشاهدة نص تليفزيوني أو رسالة إذاعية، والخطر كل الخطر يكمن عندما تأخذ هذه الأدوات مكان بعض النشاطات والفعاليات الذهنية و الجسدية التي تتيح زمام المبادرة في التفكير والنقد وفي تطوير الإمكانيات الذاتية والروحية.

وقد أبدى علماء الاجتماع والتربية خوفهم من السرطان الإعلامي الذي يضع الإنسان في دائرة الجمود والسلبية بعيداً عن إمكانيات الفعل والمبادرة؛ ويرى التربويّون أن وسائل الإعلام قد بدأت تنافس الأسرة والمدرسة في عملية التربية وفي تشكيل الشباب روحياً وعقلياً، وفي ذلك خطر.. لأن الوقت الطويل الذي يقضيه الشاب والناشئة والأطفال أمام الشاشة الصغيرة يشكل فصلاً دراماياً من فصول حياتهم اليومية؛ وهذا الإدمان يمثل خطراً على عقل وجسد كل واحد منهم.

كذلك نجد أن هؤلاء الباحثين أوضحوا أن التأثير السلبي قد امتد ليقضي على كثيراً من فعاليات وقت الفراغ، وهو ما أدى إلى عدم استغلال الشباب لوقت الفراغ الاستغلال الأمثل بالرغم

من أهميته حيث تضع الدول المتقدمة مسألة تنظيم واستغلال وقت الفراغ في أولويات مخططاتها وبرامجها السياسية والاجتماعية وهي تسعى في جملة ما تسعى إليه إلى تأمين القاعدة المادية الضرورية لاستغلال الأوقات عند الشباب والشرائح الاجتماعية المختلفة بما ينعكس إيجابياً على مستويات الحياة الاقتصادية والفكرية والاجتماعية.

الوقوع في الأسر
وسذاجة حسن النية

عندما نقول لأطفالنا لا تفعل كذا أو كذا، وعليك بالحذر من هذا أو ذاك، ويجب عليك أن تتفادى هذه أو تلك.. وكل تلك التنبيهات والتعليمات ولفت النظر ليس مجرد عادة تعسفية يملكها الكبار ويلزمهم نقلها إلى صغارهم.. لا. الأمر ليس كذلك على الإطلاق، بل أنه ولا شيء غير ذلك رغبة ممن يعرف في أن ينقل تلك المعرفة إلى من لا يعرف؛ وليس هناك لدى الإنسان المسؤول أغلى أو أعز من بنيه، إذا ليس الأمر تسلط.. أو فرحاً بأنه القائد الأعلى في المكان والرجل المرهوب الجانب، المسموع الكلمة في البيت أو في العمل. لكن التجربة الحياتية للإنسان شيء والوعي بها شيء ثاني والعمل بهذا الوعي يحتاج إلى وعي إضافي يتطلب ضرورة نقل تلك الخبرة إلى الآخرين بالشكل الصحيح إذ كيف يعرف الطفل أن سوء التعامل مع الكهرباء قد يفضي إلى موته، وكيف له أن يعرف أن الاقتراب الزائد من شاشة التليفزيون قد يضر ببصره، أو حتى كيف يعرف أن المشي في وسط الشارع مخالفة مرورية لكنها أيضاً مخاطرة قد تفضي إلى موته أو تتسبب في أذى

الآخرين.. إذا لابد من وجود منبه وعارف يكون قد خبر هذا الأمر أو ذاك ينقل لغيره خبرته الناجمة عن تجربته وعلى ذلك الغير أن يعي أو أن يجرب ليعرف؟

إن الإنسان ليس بوسعه اكتساب كل الخبرات في قفزة واحدة، وليس بوسعه الحصول على المعرفة لمجرد القراءة عنها، فمن سار في الطريق للمرة الأولى ليس أبداً كمن عرف هذا الطريق بكل منحياته ومطباته وأخطاره والتواءاته. والصغار بحكم أعمارهم لا يعرفون بل هم في العادة يقاومون المعرفة ويتهربون من مصادرها، أما الشباب فبحكم فوران الجسد وحالة النماء المتسارعة المتعجلة لا يتوقفون كثيراً أمام حسابات الأمور وميزانها، فهم مندفعون تحكمهم رغبة جامحة نحو تحقيق الأكثر في الأقل من الوقت؛ ولعل بعضهم يتمنى أن يكون حصوله على الأشياء كاملاً غير منقوص من أول السيارة حتى تتويج العلاقة مع الجنس الآخر ويتمنى لو أنه وجد التعامل مع مفردات الحياة وكأنه مجرد حبة أسبرين أو بانادول يتناولها فيصير جاهزاً مثل الآخرين. هؤلاء لا يعرفون أن الإنسان - بعد موروثاته الجينية يتحصل على كل خبرة في الحياة في بطء شديد من أول التعامل مع دورة المياه حتى التعرف على كيفية إنجاب الأطفال ولذلك وجب التنويه على ضرورة تفادي الوقوع في الأسر " بصفة عامة ". فالوقوع في أسر الأشياء أو الأشخاص أو الرغبات ضار بكل ما تحمل كلمة الضرر من معنى؛ ناهيك عن

إمكانية سوء النية " وهي كثيرة وشاملة لكافة الأصعدة " من قبل جهات يصعب حصرها.. بوضعك في الأسر لأسباب تخصهم وتكمل مخططاتهم على المدى القريب والبعيد؛ وكثير هم من يقعون في تلك الفخاخ دون وعي منهم؛ بل - والأدهى من ذلك أنهم يبدون على درجة عالية من الفخر والتفاخر بالكلام عما هم فيه من أسر - وذلك تحت مسميات أخرى اخترعوها اتهامهم بالغفلة والوقوع في الأسر...

الوقوع في الأسر..
وعنصر الغفلة التدريجي

ففي إحدى الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية وجد أن ٦٠٪ من العائلات اعترفت بأنها غيرت عادات نومها بسبب التليفزيون، وأن ٥٥٪ من العائلات غيرت مواعيد تناول طعامها لنفس السبب، وتدعم تلك الدراسات وجهة النظر القائلة " أن التليفزيون كوسيلة اتصال جماهيرية يملك قوة هائلة من التأثير على العادات والقيم والتقاليد في المجتمع من خلال الرسائل التي يبثها إلى الآلاف وملايين المتلقين وأن برامجه والمواد التي يرسلها تحظى باهتمام الناس بحيث لا يستطيع الإنسان مقاومتها. ويمكن القول بأن التليفزيون يمكن اعتباره العامود الفقري في عملية التغير الاجتماعي "؛ وعلينا أن نتحسب لذلك - أي تغير اجتماعي وإلى أين وما تلك الخطة الجهنمية التي ترمي إلى ذلك ومن هم ورائها - ؟ ويعد الانفتاح على الثقافات الأجنبية ضرورة لازمة للقنوات التليفزيونية وخاصة في عصر السماوات المفتوحة، التي تحتاج برامجها دائماً إلى إنتاج يغطي مساحات كبيرة من ساعات الإرسال؛ ولكن ينبغي أن يكون هذا الانفتاح في إطار محدد الأهداف يراعي

العديد من الاعتبارات، ولابد أن تكون هذه الثقافات الأجنبية التي يفتح لها التليفزيون المجال - ثقافات جادة أو على الأقل ليست مبتذلة أو سوقية أو رخيصة؛ وفي كل الأحوال لابد وأن تحمل قيماً اجتماعية أو ثقافية لا تتعارض مع مجموعة القيم الاجتماعية التي تلتزم بها الخدمات التليفزيونية وتهتم بنشرها وتدعيمها؛ هذا بالإضافة إلى أنه ينبغي أن تكون الثقافات الأجنبية التي يقدمها التليفزيون متوازنة؛ بمعنى ألا يكون هناك تركيز على قطاع واحد فقط من الثقافات مع إغفال القطاعات الأخرى؛ فهذا التنوع بذاته من شأنه أن يثري الحياة الثقافية العربية، بعكس الارتباط بثقافة واحدة والذي قد يؤدي إلى وقوع الثقافة العربية أسيرة في نطاق هذه الثقافة الأجنبية. وهذا ما يجب أن نتوقف أمامه لبعض الوقت وإن كان يستحق أن نتوقف أمامه كل الوقت.

إن الوقوع في الأسر قد وقع - وليس من العقل أن ننتهج منهج النعام أو الأغنام - النعام بمعنى دفن الرؤوس في الرمال تفادياً للخطر، و الأغنام بمعنى الانسياق والانصياع لكل ما تبثه الشاشات.

إن أبسط نظرة على شاشات الفضائيات التي تلتقطها عيون وأذهان المشاهد العربي وما تعرضه شاشاتنا العربية بما تبثه من برامجها - وهو قليل - وبما تشتريه أو تستقبله من الخارج وهو كثير لوجدنا ببساطة أن كل ما تستهلكه جموع الناس من منتج

هو في الغالب أمريكي ١٠٠٪ إن لم يكن شكلاً فمضموناً، من أول أفلام الأكشن حتى الكاميرا الخفية وأفلام الرعب وأفلام الجنس الخفي والصريح والبرامج السياسية والأزياء والموضة وزواج النساء من النساء والرجال من الرجال والمطالبة بأن يصبح ذلك قانوناً " لأن الناس أحرار " ولا يشذ عن هذه القاعدة في ساعات الإرسال الفضائية سوى كرة القدم؛ والسبب بسيط هو أن أمريكا لا تلعب كرة القدم التي نعرفها - بل لها كرة قدم أخرى ليست مستديرة كما نعرفها ولكنها بيضاوية. وأحسب أن ذلك ليس مصادفة، كما أنه صراحة ليس جبراً أو إكراه. السبب الرئيسي لإقبالنا على هذه المواد هو جاذبيتها الشديدة - وهنا تكمن خطورتها الشديدة -، ثم فرط التعود عليها حتى درجة الإدمان "، ثم سهولة استجلابها لأن منافذ توزيع وبيع هذه السلعة يتمتع بأكبر قدراً من الكفاءة والإتقان؛ ونضيف إلى ذلك من باب الأمانة أن موادهم تلك هي الأكثر مبيعاً حتى في أوروبا " التي تشكو هي الأخرى من الغزو الثقافي الأمريكي "؛ ويكفي أن نلقي نظرة واحدة بسيطة على معظم القنوات العربية المتخصصة في تقديم الأفلام.. هناك في المنزل على مدار الساعة قناة للأفلام السينمائية تبث ما يراه " أصحابها مناسباً للذوق العربي العام - وليس خافياً على أحد أنها ثقافة شاملة مانعة جامعة " على هواها " في المأكل والملبس والكلام ونمط الحياة - بحيث صار المواطن العربي يعرف جيداً كيف

يعيش هؤلاء الناس داخل بيوتهم وفي مواقع العمل وكيف يحاربون وكيف يحبون وكيف يعشقون وما هي ألوان غرف النوم عندهم.. إلى آخره.

لقد جعلتك تلك المحطات تعيش في قلب الحياة الأمريكية - وحين تفيق من تلك الغيبوبة تشعر وكأنك قد ضُربت مجدداً بآلة حادة فوق رأسك لأنك تستسلم للمشاهدة في كل شديد وعبثية غبية لم يعرفها أصحاب العبث القديم وسرعان ما تجد نفسك تتثاءب طلباً للمزيد من تلك الجرعات؛ وتكون المفاجئة حين تفيق فتعرف أنك تعيش في الرياض أو في القاهرة أو في بيروت أو في صنعاء أو دمشق وأن الحياة الحقيقة ليست هي ما قدمت إليك على مائدة شهية،.. وببساطة تعرف أن تلك الحياة ليست هي حياتك - والأجدر بك أن تعيد النظر قبل أن تستسلم منقاداً للآخرين.

وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة توجيه اللوم لهؤلاء السادة الذين يعيدون صياغة العقل العربي بمفردات غربية مشكوك في توجهاتها " لأن كل ما تقوم به أمريكا هو سيناريو متقن الصنع.. له بداية تحضيرية ووسط مليء بالأحداث ثم نهاية مقنعة تطلب منك التصفيق " وإن كان ذلك يبدو صعباً - ولا أقول مستحيلاً - ، لأن الجرح قد صار غائرًا وعميقاً ومن الصعب أن تلتئم الجراح بالتمني في ساعة أو بعض ساعة بعد أن ظلت تنزف طويلاً.

ليس من الحكمة أن نتهم بمعاداة الثقافات الأخرى أو الحضارات الأخرى " الآخر - الآخرين - بل من العقل أن نعقل ضرورة ألا تستلب عقولنا وتستبدل بأنماط أخرى ليست من عندياتنا - ونخشى أن يفوت أوان المراجعة ويصير الواقع نهائياً ومسلماً به ويكون الوقوع في الأسر هو المقدمة المنطقية للموت بنواح خافت إلى جوار حائط كما قال H.GWELLS في كراسته الشهيرة " العقل خارج عقاله. "

إن العبقرية الأليمة لجهاز التليفزيون أنه ليس ضيفاً واحداً مقيماً معك في البيت، إنه آلاف الضيوف الذين يزاحمونك في كل شيء ويتدخلون في طعامك وشرابك ونومك وملبسك ومنهج تفكيرك - كما يقتحمون العقل في محاولة لفرض نماذج وأشكال من الحب والهوى والهوس والعشق والحرب والتواصل.. أنت إذا في حالة تعرض استحواذية معقدة؛ ما إن تلتفت هنا حتى يثار منبه آخر هناك تجده أولى بالانتباه فتتملكك الحيرة وقد تبدأ بمرور الوقت في فقدان الاتزان - ثم الهذيان والهلوسة - وهذا بالضبط هو ما تفعله كل أنواع المخدرات. إنه إدمان ليس بوسعك أن تناضل ضده كما يستحيل عليك هزيمته؛ إذاً كيف تهزم أفكاراً مقنّنة جاءت من خلال جيوش جرارة من النهود العارية والأفخاذ المنحوتة والوجوه المتقنة الصبغ بالألوان الجذابة؟!.. بوسعك أن تتصدى لجيش تعرف عدّته وعتاده - لكن ماذا تفعل حيال كل تلك الجيوش الجرارة الصاخبة التي ما

إن يختفي من واجهته منها حتى يظهر لك غيره؟!

كان الريف والحضر في سالف العصر والأوان في المنطقة العربية يحيى يومه ويقضي كل حياته في توائم مدهش مع الطبيعة الأم، يصحو لصلاة الفجر.. يصحو في لحظة صحيان الطيور وكل المخلوقات الأخرى حتى النباتات والأزهار - ثم يبدأ سعيه إلى حقله أو عمله أو تجارته ويظل في إنجاز بسيط منتظم حتى يحين موعد الغذاء فيأكل في غير تخمة ثم يزاول ما عليه من أعمال حتى حلول الليل، وبعد أن تأوي الطيور إلى أعشاشها بقليل يخلد هو الآخر إلى النوم والراحة في سعادة بسيطة سببها أنه قد قام بإنجاز كل ما عليه من طاعة لله وأنهى ما عليه من واجبات تجاه الآخرين ونفسه ولم يكن لديه من شكوى يقدمها لأحد لأي سبب من الأسباب؛ فإذا أجادت الطبيعة وأعطته رضي.. وإذا كشرت عن أنيابها وخذلته قنع بالمقسوم. الغريب في الأمر أن هذا القاموس كان يشمل الأسرة كلها والقرية كلها والمدينة كلها بل والمجتمع كله: إنها السعادة التي جلبتها القناعة والبساطة في التعامل مع ساعات النهار والليل.

لم يكن أمام المرء ما يؤرقه أو يقض مضجعه ويجعله طوال الساعات التي يحياها يضرب أخماس في أسداس. صحيح أن كافة مفردات الحياة كانت بسيطة ومن ثم كان من الضروري والمنطقي أن تكون النتائج متسقة مع ذلك؛ لكن ذلك قد زال الآن وصار ضرباً من ضروب الماضي وما هو الآن سوى

" NOSTALGIA حنين إلى الماضي " نحلم أن يعود يوماً لكن هيهات - الأمس هو الأمس ولا يمكن إعادة الشريط مرة أخرى- ونحن نعرف أن الشريط الوحيد الذي يمكننا إعادته ومشاهدته مرة أخرى هو شريط الفيديو وليس شريط الأمس.

وبنظرة على " الآن " سنستدل على ذلك الفارق الرهيب الذي سببه الوقوع في الأسر. صارت عادة الاستيقاظ مبكراً من مخلفات الماضي - حتى هؤلاء الصغار الذين يلزمهم الاستيقاظ مبكراً للذهاب إلى المدرسة - صاروا يفعلون ذلك بمشقة بالغة ناهيك عن كل سبل المراوغة للفكاك من الذهاب إلى المدرسة بدأ من الادعاء بالمرض والتحايل والبكاء.. إلخ، وليس هناك من سبب لذلك سوى أنه قد ظل ساهراً أمام الشاشة يتثاءب ويفرك عينيه في عناد شديد وهو يقاوم فعل النوم الإجباري بكل ما أوتي من قوة. أنه ليس وحدة في هذا المجال - وليس الفريد من نوعه في هذه المنحى؛ فالوالد قد يشاطره الرأي دون الإعلان عن ذلك " وكذلك الوالدة التي تشاطره على استحياء وقد فعلت نفس الشيء لكنها تكابر وتتحامل على نفسها. ويذهب الأب المسكين إلى مقر عمله دون أن يتناول فطوره " على عجل يقود سيارته مسرعاً ويلعن الزحام ويلعن العمل ذاته ويتمنى لو أن الحياة تخلو من هذه المصيبة المسماة ب "العمل" لكي يتفرغ لمتابعة مئات القنوات عوضاً عن سورة كانت تقرأ من القرآن أو حديث شريف يحفظ، أو حتى قصة

واحدة مسلية من ألف ليلة وليلة كان يتعرف عليها قبل موعد نومه ويذهب إلى الفراش سعيداً راضياً منتظراً قصة الغد في الليلة التالية من قصة شهريار وشهرزاد.

ولو أننا تقصينا بأمانة مسألة الالتزام بمواعيد الصلاة لوجدنا أنها قد طالها " من الحب جانب " ولم تعد الفريضة شديدة الوجوب في حينها بل لا بأس من التأجيل حتى نعرف هل ستضع البطلة مولودها أم لا وهل يظل هذا سفاحاً أم أن السيد الوالد قد رحل عن نيويورك وحل على لوس أنجلوس سعياً وراء امرأة أخرى.

هنا يكمن الكمين.. وهذا هو الوقوع في الأسر. كيف؟!.. لو أتيح لأي منا أن يقضي بعض الوقت في أمريكا أو أوروبا لأدرك بديهية تضعه في حرج شديد مع نفسه؛ ولأدرك حجم الخيبة التي وقع فيها بسذاجة. ماذا يحدث هناك وكيف تسير عجلة الحياة اليومية؟.. إن جدول الحياة اليومية هناك يسير ببساطة على النحو التالي:- يصل المواطن إلى مقر عمله في تمام الساعة السابعة والنصف أو الثامنة " وليس مقبولاً على الإطلاق أي عذر يتسبب في غير ذلك " ويمارس عمله الجاهز مباشرة - يعني لن يجلس طويلاً ليبحث عما عليه أن يقوم به ولن يتناول إفطاره مع شاي الصباح "وخبز التميس" ثم يشرب قهوة الصباح ثم يقرأ جرائد الصباح.. لأنه قد فعل ذلك كله قبل أن يتحرك صوب عمله ويظل هذا المواطن في هذه المفرمة

دون التفات أو خدش لحرمة الوقت حتى الثانية عشرة أو والنصف حيث مقدر له بين نصف الساعة والساعة أن يتناول غذاءً خفيفاً جداً قد يكون الطبق الرئيسي والفرعي فيه هو خليط بين السلطة والسلطة، ثم يعاود العمل حتى الرابعة والنصف أو الخامسة - وبحلول السابعة بالكاد يكون قد عاد إلى بيته حيث طعام العشاء هو الوجبة الرئيسية التي تجمع الأسرة كلها في موعد لا يتجاوز الثامنة مساء بأي حال من الأحوال.. ثم يشرع في هذا أو ذاك من مشاهدة أو استماع وبعدها يأوي إلى فراشه قبل أن تدق الساعة العاشرة مساء. لماذا لأنه سوف يعاود الاستيقاظ في الخامسة والنصف أو السادسة صباحاً ليعيد نفس العجلة نحو الإنتاج، ولذلك فهم منتجون.. مثمرون.. فاعلون.. وليس هذا تقليلاً من جهد القلة المخلصين منا ولا تعظيماً لهم لكننا وجدنا أن من الملفت للنظر أن يكون نمط الحياة الغربي في ساعات اليقظة والنوم هو نفس نمط الحياة القديم لدي الفلاح العادي في الريف العربي منذ قديم الزمن، وإن كان ليس في ذلك ما يستوجب الدهشة لأن القاعدة تقول أنه لا يصح إلا الصحيح وأن ذلك الصحيح الأمثل هو ناموس الطبيعة الأم.

لكن متى يتفرج هذا الإنسان على التليفزيون؟! فقط وفقط فقط فيما هو متاح من ساعة فراغ أو ما أشبه حيث يعرف أخبار الداخل والخارج في بضع دقائق وأخبار - أما نحن فنلاحق نفس

الخبر في جميع المحطات وفي كل النشرات - ، ونجده يعرف تفاصيل الطقس في عدة دقائق أخرى يمنحها لذلك ، ثم أن لديه يومين كاملين كل أسبوع وهما إجازة مقدسة لا يجوز ولا يمكن التضحية بها . . بل من الواجب فيها الحصول على قدر غير قليل من المتعة والانتقال من مكان إلى آخر فقد يسافر الواحد منهم آلاف الأميال لقضاء إجازة يغتسل فيها من هموم وآثار وتوابع عمل الأسبوع كله ليعاود الحياة بهمة ونشاط وكأنه قد أعيد تأهيله كاملاً من جديد .

ومع ذلك - لا يفوتنا القول بأن الدارسين وعلماء الاجتماع في تلك المجتمعات لا يتوقفون عن التنديد بالضغط الإعلامي الزائد عن الحد والتنبه إلى خطورته على الصغار والشباب على وجه الخصوص - لكن - كما سبق وأسلفنا لقد نفذ السهم وقد سبق السيف العزل ! !

نلاحظ أن التليفزيون بآلاف محطاته الخاصة والعامة لم يعد كابوساً عند الغرب لكن الكابوس مازال لدينا هنا - لأننا قد تعرفنا عليه بالكاد مع منصف الثمانينات وأوائل التسعينات - فما زال المرض عندنا في حالة حضانة واحتضان - والخوف كل الخوف من أن يستشري . . فنبدأ بالبكاء على اللبن المسكوب - الذي كان بوسعنا ألا نسكبه لو أننا تعاملنا مع الأمر بالوعي الكافي ! !

نظرة على الآثار السلبية للبث المباغت - المباشر

الأسرة : " لقد جاء في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأن الأسرة هي الوحدة الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني وتقوم على المقتضيات التي أسسها العقل الجماعي والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة. بينما القواعد ينص عليها بأنها " الوسط الذي اصطلح عليه المجتمع لتحقيق غرائز الإنسان كالعادات الطبيعية والاجتماعية، وذلك مثل حب الحياة وبناء النوع وتحقيق الدوافع الاجتماعية، وإشباع الدوافع الجنسية وتحقيق العواطف والانفعالات الاجتماعية وإشباع الأمومة والغيرة.. وما إلى ذلك، " ويعرف OGBURN الأسرة بأنها " علاقة مستمرة ودائمة بين الزوج والزوجة بغض النظر عن وجود أولاد لهما، وتعد الناحية الجنسية من أهم مميزاتها، وقد تتضمن الأسرة أفراداً آخرين غير الزوجين ممن ينتمون إليهم بصلة.. وقد حدد برتراند PERTRAND مجموعة من السمات الهامة المميزة لوحدة الأسرة؛ وفي ضوء تحديده لهذه السمات وضع تعريفه عن الأسرة، وهذه السمات هي :

١) أن الأسرة هي علاقة زواج قائمة على أسس وروابط

اجتماعية مقبولة.

٢) أن الأسرة تتكون من أشخاص وجدت بينهم روابط الزواج والدم تبعاً للعرف السائد في المجتمع.

٣) إن أعضاء الأسرة يقيمون مع بعضهم في مكان واحد وتحت سقف واحد.

٤) إن الأسرة وحدة من أشخاص متفاعلين ؛ كل منهم يقوم بدوره الذي حدده المجتمع سلفاً وأن هذا التفاعل مصحوباً بإشباع حاجات فيزيقية واقتصادية واجتماعية".

وهناك سمات عامه تميز الأسرة كجماعة تتميز عن باقي الجماعات الأخرى وتشترك فيها الأسر في المجتمعات المختلفة عبر الزمان والمكان.. الأسرة هي أول نظام اجتماعي يعيش الفرد في كنفها و يتشرب قواعدها التنظيمية و يخضع لعاداتها وتقاليدها ويتفاعل تفاعلاً مباشراً مع أفرادها المكونين لها ؛ وقد أعطت الخصائص والسمات التي تميز الأسرة أحقيّة بل وأسبقية ولاء أفرادها والتعاطف بين أفرادها ؛ وهي وسيلة الضبط الاجتماعي الأوّلي غير الرسمية التي تضبط سلوك الأفراد.

ويعد النظام الأسري من أقدم النظم الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية ؛ والأسرة كنظام اجتماعي بها وظائف متعددة ومختلفة ؛ وعلى الرغم من تداخل بعض وظائف الأسرة مع وظائف المجتمع الأخرى - حيث أن هذه الأنظمة تتساند وظيفياً مع بعضها وتؤثر وتتأثر كل منها بالأخرى - إلا أن

هناك مجموعة من الوظائف الأساسية والمرتبطة بها في المجتمعات المختلفة والتي يمكن تحديدها على النحو التالي : -

١) وظيفة الإنجاب : وتعد من أولى الوظائف التي تقوم بها الأسرة ؛ ومن خلالها يحافظ على بقائه واستمرارية سكانه وتحيد عضويته من الأجيال الجديدة .

٢) تنظيم إشباع الدوافع الجنس : بشكل يحفظ للمجتمع كيانه وقيمه و معاييره الأخلاقية .

٣) رعاية الأبناء : فالطفولة الإنسانية تعد أطول فترات الطفولة المعروفة في أجناس المملكة الحيوانية ، والطفل يظل عاجزاً لفترة طويلة عن إشباع حاجاته الأساسية ، لذلك فإن الأسرة تقوم بهذه المسؤولية لفترة طويلة من حياة الطفل .

٤) التنشئة الاجتماعية للأجيال الجديدة : فبالرغم من تعدد المؤسسات والهيئات والأنظمة الاجتماعية التي تشارك الأسرة وظيفتها ؛ إلا أن الأسرة تقوم بالدور الأساسي في نقل ثقافة المجتمع من لغة وسلوكيات وقيم واتجاهات واستخدام الأدوات إلى أفراد المجتمع الجديد ؛ والتي يتحولون باكتسابها إلى كائنات اجتماعية قادرة على التفاهم والتفاعل مع أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه .

٥) الرقابة الاجتماعية على أفراد الأسرة : حيث تقوم الأسر بضبط سلوك أفرادها وفق القيم والمعايير السلوكية عليها ، فالأسرة هي المكونة الأساسية لقوى الرقابة الذاتية في أفرادها ؛

وهي قوة الضمير الذي يتكون في شخصية الفرد نتيجة لتربيته ونشأته الأسرية، ويصبح الموجه والرقيب على سلوك الفرد المصاحب له في كل تصرفاته وسلوكياته، كما أن الأسرة هي الجماعة الأولية المحيطة بالفرد والتي تتعايش معه وتهتم بأمره.

٦) توفير الحاجات النفسية لأفرادها: فالمعروف أن هناك بعض الحاجات النفسية يحتاج إليها الشخص لتكوين شخصية سوية، فكل فرد يحتاج إلى أن يحب ويحب وأن يستجاب له وأن يشعر بالأمن والطمأنينة، والأسرة خير من توفر هذه الاحتياجات لأفرادها.

كان لابد لنا أن نتطرق إلى هذه الجوانب التعريفية للأسرة لنعرف ماهي ماهيتها، وكيف أن البقاء على وحدة وتماسك هذه اللبنة الأساسية ضرورياً للحفاظ على بناء المجتمع، ولكي نلقي نظرة سريعة على ما أصاب تلك الأسرة في ظل هوجائية ولا مسؤولية البث المباغت " المباشر" - وأي درجة من العطب والخلل قد أصاب هذه الأسرة العربية - التي صحت ذات صباح لتجد أنها معرضة لمعايشة ذلك السيل المنهمر من حياة وسلوكيات أسر أخرى في كافة أرجاء المعمورة!!

الاحتشام.. في ذمة التاريخ!!

عفواً . . ويبدو أنه لابد من القول عفواً لأن التالي بيانه خادش للحياء ؛ هذا الحياء الذي هو من أبرز صفات " الأدب " والأخلاق ؛ والذي يبدو - أن علينا أن نخوض ضد " تجاوزه " حرباً شرسة تعيد الأمور إلى نصابها ؛ و لست أحسب أن من السهل أن تعود إلى ذلك .

الغرب هو الغرب والشرق هو الشرق ، هذه هي الجغرافيا والتاريخ والإنسان والمكان . لكن هذا الغرب قد مال ميله جانحة شديدة الجنوح في شتى مناحي الحياة .

صار هناك نوادي العراة . . ونوادي تبادل الزوجات . . ومطالبات لحوحة لا تتوقف عن استصدار قوانين وتشريعات ضد الطبيعة وقوانينها مع مطالبات مستمرة بمنح الصفة القانونية لتلك الأفعال وإضفاء الشرعية عليها وتمكين الرجل المتزوج من الرجل والمرأة المتزوجة من مثيلتها من حقوق الزواج العادية كالحصول على ميزات الزواج العادي من ميراث ونفقة وغيرها ؛ بل ويظهر علينا من يقول بأن هذا النوع من الزواج هو الأكثر بقاء من بقية الزيجات العادية التي تعاني من الآفات

الكلاسيكية: الملل - الطلاق، والخيانة الزوجية.. وأن معدل الانتظام في (الزواج المثلي) من حيث عمره يتجاوز العادي بكثير إذ أنه يبدو أبدياً في معظم الأحيان وأن إحصائياتهم تقول أنه يدوم - غالباً إلى الآن وفي أسوأ الحالات بين ٣٠, ٣٥ سنة وأن واقعة الخيانة فيه تكاد تنعدم.. كما أن الطلاق أو الفكاك منه يعد حوادث استثنائية بحتة " لاحظ درجة الترويج للأمر ".

هذه هي العقلية الغربية التي صارت تجد في الحرية المطلقة مهرباً نموذجياً من آلام المخاضات اليومية من ضغوط الآلة وصعوبة دفع الفواتير واستحالة الاستقرار النفسي الذي يدل عليه ارتفاع معدلات الانتحار وانتشار محاولات الإجهاض وارتفاع عدد المواليد غير الشرعيين وتنامي معدلات الذين لا تحمل بطاقاتهم أو جوازات سفرهم دين ما.. أي دين "!!

ونحن الذين أنعم الله علينا بنعمة الدين وأكرمنا بحكمة العقل ورؤية المجتمع الثاقبة للحياة الكريمة، أكرمنا الله بقوة الإيمان وقيود الدين لتغنينا عن كل الطب النفسي المعاصر.. نحن الآن نهجر هذا لنجد أنفسنا وقد أجبرنا على متابعة البرامج التي ترينا حياة ذلك الإنسان " المسكين " وقد انفلت من عقاله وصار يتحرك خارج المجرة التي يعيش فيها؛ ولا بأس.

لا بأس.. فتلك هي حياته ولا بأس إن وافتنا الفضائيات بما يعكس هذا النوع من الحياة بصراحة شديدة في وقاحة شديدة

وبلا احتشام ولا حياء، ونراهم يضعون أمامنا الحلول التي هي في أساسها منبعاً للمشاكل، ولكن علينا أن نستمع ونقرر أين الصحيح فقد جعل الله لنا عينين ولساناً وشفتين وهدانا النجدين، إنهم يقدمون لنا الزوجة في خلاف مع زوجها أو العكس... الزوج قد وجد ضالته في امرأة أخرى.. والزوجة وجدت ضالتها في رجل آخر " وقضايا الطلاق تكلف الكثير من الجهد والمال والتوتر "؛ فمن السهل أن يبقى الحال على ما هو عليه؛ لكن هناك في تلك الأسرة كائنات أخرى قد يتراوح أعمارها بين الرابعة والخامسة.. إلى العاشرة أو السادسة عشرة.. يصل صديق الزوجة لاصطحابها للعشاء.. ويخرج الزوج لفعل مماثل مع صديقته: الأطفال يتعاملون مع حياة مزدوجة للغاية.. هناك رجل آخر ليس هو الأب.. وامرأة أخرى ليست هي الأم.. ومن الطبيعي أن تختلف الآراء حول هذا الغريب أو تلك الغريبة ويتحول المنزل إلى ساحة قتال وخلاف.. واحد من الأطفال يحب صديقة أبيه والآخر يحب صديق أمه. وليس من الصعب علينا أن نتصور ما يدور في ذهن الأطفال.. وأي نوع من التنشئة يخوضون غمارها في مثل تلك الحياة. إن النتيجة المنطقية لهذا " المثل " الموجود معهم والساكن داخلهم هو نوع من الاضطراب النفسي والخلل الحياتي - مما جعل الساعة لدى الطبيب النفسي تصل إلى مائة دولار في الخمسين دقيقة " والنتائج العلاجية عبثية في معظم الأحوال "؛ حين يصل بك

الاضطراب إلى مداه تصعب كل محاولات الدردشة النفسية في سد الفجوات والثقوب التي أحدثها منشار العدوان على الأسرة الناتج عن كل هذا الانحلال الذي صار يأخذ شكل الواقع اليومي.

هذه هي الأسرة الغربية التي نستمع مع أحوالها طوال ساعات البث المباغت " المهيمن " . وليس بوسعنا أن نتجاهل حق الفتاة الغربية في دعوة صديقها إلى منزلها.. وخطوة خطوة إلى غرفة نومها - وليس من حق الأم أو الأب أن يعارض في أمر كهذا لأنه قد صار " سنّة " من سنن الحياة - وهي الاستجابة لنداء الطبيعة حين ينادي في أي مرحلة عمريه للشاب أو الفتاة؛ هذا بالإضافة إلى أن ذلك قد صار واقعاً ملموساً ومباشراً فقد فعله السيد الوالد.. وقامت السيدة الوالدة بفعل مماثل نهاراً جهاراً. ليس هناك من شك في أن دفع الضريبة أمر لا مفر منه؛ لقد سرقتهم الحياة ومازالت تسرقهم وتدعوهم كل يوم إلى التفريط في عبقرية البراءة والاحتشام والانسجام مع القيم العليا.. وصارت القيم العليا عندهم هي ما يستوجب النكات والمزاح الثقيل...

كل ما سبق هو حريتهم.. وليس لنا أو لغيرنا أن يجادلهم في تلك الحرية.. إنها خلاصة تجارب اجتماعية منفلتة دامت قروناً..

لكن ما هو واجبنا تجاه ذلك؟.. وهل من العقل في شيء أن

تكون تلك الثقافة هي غداؤنا ليل نهار؟؟ هل نظل هكذا مكتوفي الأيدي في مواجهة زحمة هذه المساخر ؟؟ بالطبع لا . . " ولاؤنا " هذه هي - أولاً وأخيراً دفاع عن النفس - نعرف مقدماً أنه وحدة هو الواجب والمتاح.

قلنا أنهم أحرار في بيوتهم ومخادعهم ومنتجاتهم ؛ لكن . . هل من العقل أن نتسابق لشراء هذه السلع ؟ ! . . ماذا يصيب الأسرة العربية من ضغط تلك الشاشات ! !

إن الطفل العربي يتعرض يومياً إلى آلاف المشاهد الساخنة المخلة بالآداب والجارحة في آن واحد. ويستمع إلى الأغاني الهابطة ويشاهد الأفلام العارية أو شبه العارية التي بدأت تغزوه حتى في "كليبات" الأغاني. الغريب في الأمر أن فرط تكرار هذه المشاهد ليل نهار لا يفقد هذا العري تأثيره السلبي . . حيث يبدو في كل مرة وكأنه " أول مرة".

إن المرأة . . التي هي الأم والشقيقة والزوجة والابنة قد صارت بغير ورقة التوت ؛ ومن يتحدث طويلاً عن ورقة التوت يتهم كثيراً بالجهل ورفض ثقافة الآخر . . ويتهم بأنه يعمل على أن يظل المجتمع في جهالات العصور الوسطى. لم يعد هناك من يعرف أن جمال المرأة الحقيقي إنما يكمن في سحرها و غموضها وغطائها. وأن مسعى الرجل - الذكر منذ بدأ الخليقة - كان سعيه إلى كشف هذا الغموض المغطى ؛ كان جزء من كعب القدم يعتبر كشفاً هائلاً . . وكان التمايل في المشية أمام أعين المحب

هو جواز المرور للمكان التالي، وكانت الابتسامة التي تحدث عفوية - إن حدثت- دعوة صريحة لتقارب محتمل قد يفضي إلى الزواج. وكان صوت المرأة في أذن الرجل يظل للأيام طويلة يعزف لحناً مدهشاً باعثاً على البهجة.. وكان حفيف ثوب المرأة يثير غرائز الرجل، أما وقد صارت عارية.. أما وقد أصبحت كل نساء الصور الملونة عاريات، صارت النتيجة هي: اللاطعم.. واللا معنى.. واللا قيمة، فما هو ذاك الذي يسعى إلى رؤيته إذا ما كان قد رأى كل شيء مراراً وتكراراً؛ يصبح الأمر ماسخاً.. ويعتبر كما يسميه البعض مثل " الأكل البايت " ليس هناك معنى لتناوله - ويصبح الجنس مع المرأة يشبه تناول الحلوى بعد طعام العشاء - مجرد روتين تقليدي كما قال جوستاف فلوبير في روايته الأشهر "مدام بوفاري".

لقد جعلوا المرأة كائناً ممسوخاً مستهلكاً طالته الآثام من كل جانب حتى جعلوها - رغم كل الألوان والحركة وإتقان الصورة: بلا لون أو طعم أو رائحة؛ بل صارت وزناً زائداً قد خلى من كل دواعي الإثارة. كانت النتيجة أن أجمل الكائنات قد أصبحت شيئاً بليداً غثيانياً ليس مرغوباً فيه!!!

إن الأمر لا يقف عند هذا الحد من البث المباشر - هناك ما يجب الالتفات إليه: إن أخطار هذه الكثافة الرهيبة لذلك البث المباشر قد خلقت قاعدة كبيرة من المتفرج المستهلك المدمن.. الذي يصحو من نومه متعجلاً ليشاهد ماقد استجد.. ويتثاءب

في مقاومة عنيدة قبل النوم؛ بل هناك البعض الذي ينام تاركاً تلك الهجمات تدغدغه خلال النوم، عسى أن يتسلل ذلك إلى أحلامه أو ربما صحا من نومه فجأة.. فلعله يجد شيئاً مما ينتظر. هذا هو الاحتلال. هل هناك معنى آخر للاحتلال سوى أنه: شيء ما.. غريب عن المكان.. وقد جاء من هناك " أي هناك " هادفاً أن يظل موجوداً عندي - وعلى أي صورة من الصور؟!!

إن هذا الاحتلال قوة وهذه القوة تتطلب التعامل معها بقوة يغلفها الثقة والاحترام وتقدير الأمور بشكل مناسب. في الماضي كان هذا الاحتلال يتطلب جهداً كبيراً ومالاً وعرقاً وضحايا حتى يتمكن المحتل من تثبيت أقدامه. لكن العالم قد تغير وصار عاقلاً أكثر من أي وقت مضى؛ لم تعد هناك ضرورة لهذا المشهد الساذج من الغزو ثم الاحتلال ثم تثبيت الاحتلال، ثم العمل على حب هذا الاحتلال وتقديره والفرح به والمطالبة بالمزيد منه ودفع الكثير من المال طمعاً في الاستزادة!!

هذا وهم مدهش يستحق وقفة تعادل حجم توحشه الملون - لأنه مازال - يتعامل مع الغير الذي هو " نحن " على أننا مازلنا نحبو في غمار هذه العبقرية الملونة وأن علينا أن نستهلك وأن نسمع الكلام - لأننا مازلنا صغارًا لا نفهم تلك العبقرية القادمة عبر الأقمار الصناعية!!

لم يكن ذلك هدفه و لا محض خيال: الهدف المباشر و الملح هو العمل على إلغاء قيم الغير وإحلال القيم الأخرى " التي

أشرنا إليها والتي تتمثل ببساطة في " - اللعب في دماغ الآخر وترشيده لكي يعرف أن ثقافته متخلفة " وعليه قبل فوات الأوان أن يستبدلها بتلك الثقافة الصديقة التي تحبه وتتمنى له التقدم و الازدهار ! !

يمكن تلخيص ما تقدم في إيجاز بسيط :

١) إن الثقافة الغربية التي تبنتها الفضائيات كلها هي ثقافة مريضة للغاية إلى درجة تبعث على الخوف - وأنها - في حال تفاقمها فهي مؤدية لا محالة إلى الهلاك - وليس هذا هو ما نراه وحدنا هنا - بل ما يراه علماء الاجتماع والفلاسفة في الغرب كله .

٢) إذا ما كانت هذه الهلوسة تشكل خطراً على أصحابها فليس علينا سوى مراجعة حجم الخطر الذي تشكله علينا إذا ما طال نعاسنا و أطلنا سباتنا .

٣) إن الأسرة العربية تتعرض إلى زلزال بالألوان يجد له ما يروج له .

٤) أن القيم الأصيلة للأسرة العربية قد صارت واقعة في الأسر وأن " السايا " بالملايين .

٥) إن الموقف كله ينذر بالخطر - ولابد من البحث عن بدائل .

الرأي والرأي الآخر..
أو
الرقص والرقص الآخر...

هنا لابد من العودة إلى الكلام عن " التناعم " - أي الصفات الأدائية الكلاسيكية للنعام ؛ و " التغانم " - أي السمات الغالبة على الطواعية التي تتميز بها الأغنام وميلها الغريزي لعدم المقاومة. أنا هنا أشبه الحالة وليس الأفراد ، وأرجو ممن أراد أن ينقد وينتقد أن لا ينتقد شكل العبارة وينسى مضمونها ، نعود إلى موضوعنا . . نحن ليس بوسعنا إلقاء اللوم على الأغنام لأن هذا هو سلوكها الفطري منذ أن ظهرت على الأرض - كما أنه من العبث ملامة الأغنام لأنها بكل تلك البساطة . . أو لأنها لا تقاوم الذبح حين تشهر أمام أعينها السكاكين. فهي لا تعرف أنها " ذبيحة لا محالة " ؛ ذلك لأن أحد من أهلها - سابقي التجربة - لم يحذرها من ذلك ؛ إذا فهي ليست صاحبة تراث ما . . وليس لديها من مخزون معرفي يدلها على أن الإنسان يتربص بها. وكيف لنا أن نعاتب الثور على عناده ؟ ! أو الكلب على نباحه عند الضرورة أو غيرها - كما أن الأسد خارج نطاق التشهير أو التهديد لأنه قوي . . وأنه ملك الغابة . . وأنه لا يأكل الميتة وأنه اعتاد على أكل الفريسة وهي ساخنة طازجة لأنه لا

يحمل نفس قيم النملة التي تدخر من أجل فصل الشتاء. هذه الحيوانات.. تسيّرها الغريزة فقط... ولم يتغير نمط سلوكها من يومها الأول وحتى الآن.

لكن الوضع معنا مختلف، فنحن - كما يفترض أن نكون - نعقل؛ هذا معناه أن لنا عقلاً.. وأن هذا العقل بطبيعته قادر على الاستيعاب! كما أن الذاكرة قادرة على الاحتفاظ بالتجارب الإنسانية الخاصة لذاتها - أو معارف أخرى عبر وسائل أخرى - صارت أكثر من متاحة!!

هل يحق لهذا الإنسان العاقل أن يقف في تنطع مشين وهو يتفرج على نفسه مستدرجاً في مهانة إلى أقفاص الآخرين وقد تم تجريده من أفضل أسلحته: العقل؛ الذي به يزن ويقدر ويحسب ويتفادى ويرفض ويقاوم!!

لقد صارت كلمة "المقاومة" في أيامنا هذه تبدو مثل التهم التي علينا أن نبتعد عنها وإلا فإن هناك عقاب ما في انتظارنا على قارعة الطريق!!

لو أننا أمعنا النظر في هذه الكلمة البريئة - المقاومة - لوجدنا أنها من أشرف الأعمال التي يقوم بها الذهن البشري في تعامله مع الحياة برمتها!! إنها الكلمة المضادة للاستسلام والموافقة والأخذ برأي الآخر دون رفض على الإطلاق: السلبية الحزينة التي تؤدي إلى هوّة سحيقة لا قرار لها.

إذا كانت الحيوانات لا تعرف سبباً لماهية وجودها لأنها لا

تعقل ؛ فما هو العذر الإنساني لأن يحذو الإنسان حذوها برغم أنه : يعرف ويعقل وبوسعه عقد المقارنات والوصول إلى نتائج وإحراز بعض التقدم عن طريق القياسات وخلافه.. ومع ذلك يرفض أن يبذل أي جهد يذكر في دفع البلاء عن نفسه.

إن الفكر الغربي " الأمريكي " بالذات - عبر إمكانياته التلفزية الهائلة - وانتشاره الوبائي المكثف في كافة أرجاء الأرض يحمل وجهة نظر ما.. وله رأي ما.. ويسعى إلى توفيق أوضاع ما.. و إعادة صياغة ما.. وفرض نظام ما... وأنه لن يتوقف أبداً عن تلك المحاولة حتى يجد نفسه مضطراً للتوقف ؛ أو - وهذا صعب الحدوث - أن يعقل أنه على خطأ - يراجع موقفه ويعترف : بأن للآخر رأياً.. مثلما له هو رأي.. وأن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

ليس بوسعهم الموافقة على أن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، بل - من منظورهم - أن الخلاف في الرأي جدير بأن يشعل حرباً وأنه لا مكان الآن لرأي آخر إلا إذا كان هذا الرأي الآخر هو رأينا نحن ! !

مغالطة ليس بوسعنا الدفاع عنها سوى بالقوة ؛ لكن ملايين الغربيين يرفضون ذلك - ويقولون لأجهزتهم أنهم يجرون العالم إلى كراهيتهم بلا مبرر مقبول ! ! واقع الأمر أننا لا نحمل عداء مسبقاً جاهزاً لأي فكر آخر أياً كان مصدره ؛ لكننا حين نرى بوضوح أن هذا "الرأي" وكل ما تبثه الفضائيات لا يخلو

من رأي ما في حياة الناس التي يرغبون في تحويلها إلى النمط الذي يريدونه حتى لو أدى ذلك إلى إعادة صياغة التاريخ والدين والجغرافيا " لكننا نرفض أن نظل شاخصين أبصارنا إلى الشاشات في بلاهة دون " مقاومة " ما يقع فوق رؤوسنا و ما يتسلل إلى عيالنا .

ليس بمقدورنا أن نضحي بالاحتشام الجميل الذي ضحوا به هناك . ولسنا نحب تلك الصورة التي صارت عليها المرأة - كما صارت هناك . ولسنا نحب أن يفرض علينا آخر - أي آخر - رأيا نرى عدم الصواب فيه لأن أبسط قواعد العقل هي أن نعقل ما نفعل أو ما يفعله الآخرون حيالنا .

إن التهمة التي تبدو جاهزة عند الفلسفة السياسية السلطوية في الغرب "الفج" ؛ "وليس كل الغرب فجا" هي أننا نرفض ثقافة الآخر . . بل ونرفض الآخر أيضاً ! ! وليتنا كنا كذلك ؛ وليت أن هذا الأمر هو ما هو واقع ! !

واقع الأمر أن " هذا الغرب " هو الذي يسعى إلى إلغائي تماماً واعتباري شيئاً مهملاً عديم الوزن وأن " رأي الآخر " لا معنى له ! ! هذا بيت القصيد الوحيد ! ! التقليل من شأني ومخاطبتي من علٍ وأنني الأدنى ، وأي محاولة من جانبنا لرفض هذا التصور أو تلك " البهيمية " في النظر لي - بوصفي الآخر - إنما هي مقاومة من الواجب قمعها - حتى بالسلاح !

هذا هو الجانب الساخر والهزلي من معنى الحرية : حرية

الرأي... وحرية الرأي الآخر. حريته هو أن يتعامل مع وجودي على أساس أنه ثانوي - وربما أقل من ثانوي - وأنني يكفيني أن أقتات على بقايا ثقافته المريضة - أما ثقافتي أنا فإنها متهمة بالأصولية والتعصب في الدين والتخلف وأنه يجب تغييرها - وأن برامج ذلك التغيير جاهزة؛ والسيناريوهات كلها معدة - وعلينا ألا نقاوم تلك السيناريوهات - لأننا لسنا من أصحاب الرأي - سواء كان آخر أو غير آخر.

ماذا كان سيحدث لو أن العالم قد وافق على رأي ستالين؟ أو هتلر أو موسوليني؟ كان هناك واحد بسيط من خيارات ثلاثة: إما شيوعية.. أو نازية.. أو فاشية. كان هؤلاء لهم أجهزة دعاية مرعبه تنفق عليها الملايين - و كان لهم رأي ما.. وكان العالم " الذي يسمى بالعالم الحر.. رأي آخر " وحدث أن انتصر الرأي الآخر في العالم الحر - لكن قيادة هذا العالم الحر ليست بريئة من الكثير من نازية الأداء.. وفاشية السلوك وذلك تحت مسميات أخرى عجيبة، مثل الحرية - الديمقراطية؛ وقد صار ارتكاب أفظع المجازر في التاريخ القديم، والحديث أيضاً بشهادة ما حدث في أفغانستان والعراق تحت هذه المسميات، حتى صار القول " أيتها الحرية - كم من المجازر ترتكب باسمك "!! سيظل موقفنا موقفاً " نعامياً وغنمياً " إذا ما استثنينا سوء النية والتنديد بالبطش إذا لزم الأمر من قبل هؤلاء " الأحرار " - لأنهم يرون أن الصواب في رأيهم نهائي وأن العمل بغير هذا الرأي هو

مضيعة للوقت ومقاومة لا معنى لها ! !

شاهدنا بعض تفاصيل هذه المجتمعات التي أفرزت تلك الثقافات التي نشاهدها عبر البث المباشر لآلاف الساعات في اليوم الواحد - وعرفنا أنها غير صائبة - وعرفنا أنها لا تعجبنا وعرفنا أنها " ضارة بالصحة وبالنفس " وأنهم يعالجون من جراء ذلك ! ! فكيف يطالبوننا بقبولها ؟؟ ولماذا أصبحنا متهمين " بالمقاومة " إذا ما رفضناها ؟؟ ولماذا يسكت أصحاب الشأن على فظاعة الاستمرار في كل هذا الغث المباشر الذي جلبه لنا البث المباشر ؟؟

الجريء والجميلات

THE BOLD AND THE BEAUTIFULL

نموذج

بداية . . لابد من الاعتراف بالواقع من باب الأمانة التاريخية والفنية . هذه الأمانة تقتضي القول بأن السينما الأمريكية هي السينما العالمية - وأي سينما تأتي بعدها - تأتي بعدها بكثير . . وبمسافة شاسعة على كافة المستويات . إن السينما الأمريكية قد قدمت للعالم - عبر الشاشة الفضية أعظم القصص في العالم ومن كل بقعة من بقاع الدنيا قاطبة بصورة متقنة تدعو إلى الإعجاب وتستوجب الاحترام . فالعقلية القائمة على صناعة السينما هناك - هي كل العقول المحبة للفن والقادرة عليه من كل دول العالم ؛ إنجليز وفرنسيين وألمان ويابانيين وصينيين وروس . . إلخ . . لم يجدوا مجالاً لتنفيذ إبداعاتهم سوى في استوديوهات هوليوود . . قصص من الهند ومن الصين ومن التاريخ القديم والحديث . . من أماكن وأبطال من أول حواديت ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، والأساطير الإغريقية القديمة ، وتاريخ الفراعنة والرومان ، وبعض من أجزاء تاريخ الشرق الأوسط والجزيرة العربية حسن . . لكن هذا الفن الخالص البديع الذي يحظى بإعجاب كل الدنيا يمثل بالكاد أقل من ٥٪ من

مجمل الأعمال التي تعرضها الشاشات ؛ أما بقية المنتج الذي يحمل هذه الصفة فإن صفائح القمامة هي الأولى بأغلبه - ولا شك أن الحرية المبالغ فيها وغياب الرقابة الإنسانية على تلك الصناعة قد جلب من الإفساد أكثر بكثير مما جلب من الإفادة أو المتعة. ولأن لهذه الصناعة دور هام في التأثير على الرأي العام فقد بدأت الساحة السياسية لا تغيب أبداً عن المهم من تلك الأفلام؛ وإذا ما كان الفيلم رائعاً بكافة المقاييس لكنه يخالف صراحة التوجه الأميركي في السياسة فإنه يعامل بكل قسوة على المستوى الأكاديمي والإعلامي العام ولا يرشح لجوائز الأوسكار الشهيرة، بل وتشرع الأقلام عاملة على هدمه بكل السبل والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة، حتى أن بعض الأفلام المتميزة تواجه حرباً ضروساً في سبيل الحصول على مكان لها في دور العرض لاسيما وأن أكثر تلك الدور يملكها يهود يقيمون إمكانية عرض أي فيلم بما يريدون ولعلهم حاولوا إيقاف العديد من الأفلام وأوقفوا بعضها بحجة أنهم يعتبرونها أفلاماً معادية للسامية وأنها تضمر الشرّ لليهود!!!

إذاً هناك عبقرية ما في هذا المجال - وهناك سخف وسفاهة أيضاً في هذا المجال... وما يبعث على الخوف بهذا الخصوص أن البطل الأمريكي قد صار مثالاً يحتذى لدى الشباب في العالم العربي " في معظم الأحيان "؛ وهذا هو بيت القصيد -

مسلسل الجريء والجميلات - بدأ عرضه عام ١٩٩٢

ومازالت حلقاته تعرض حتى اليوم، أي أنه مازال ساري المفعول لأكثر من اثني عشر سنة.. فما هو موضوعه الذي حضي بكل هذه السنوات التي ربّي فيها جيل الجريء والجميلات؟!

قبل عرض الموضوع - من الطرافة أن نشير إلى ما حدث في مطار إحدى الدول العربية الإسلامية - كما يحدث في العديد غيرها - وصل أحد أبطال هذا المسلسل في زيارة لمهرجان للسينما - وظن القائمون على الأمر أنهم يقدمون خدمة غير مسبوقة للناس حين أعلنوا في الصحف ووسائل الإعلام أنه بإمكان الجماهير مشاهدة أحد أبطال هذا المسلسل بشكل مباشر بشحمه ولحمه... وفوجئ الجميع بعاصفة من البشر في استقبال هذا النجم الخطير.. وما إن وصل إلى المطار؛ وما إن شاهده المنتظرون حتى سمعت أصوات صافرات سيارة الإسعاف المتجهة إلى المطار لنقل البنات والسيدات اللائي أصابهن الإغماء من فرط عدم التصديق أنهن قد شهدن - ليس في أحلامهن - بل بالعين المجردة السيد جاريسون أحد أبطال المسلسل - وهو ممثل شبه مغمور ولا يعرفه معظم الأمريكيين ولم يكن نجماً في حياته ولن يكون حتى بعد وفاته - وقد قال هذا الرجل بكل تواضع وصدق أن ما حدث في المطار كان غير قابل للتصديق لأنه - مازال غير معروف سوى لبعض الأصدقاء خاصته وبعض المشاهدين وأن الأمريكيين لا يعرفونه!!!

ولم يكن هذا هو الدليل الأوحد على تفاهة بعض شبابنا بل

تكررت مثل هذه المشاهد قبل وبعد استقبال نجوم ستار أكاديمي وسوبر ستار في العديد من المدن العربية ! !

نعود إلى موضوع مسلسل " الجريء والجميلات" . . فقد كان ببساطة على النحو التالي : -

في أرقى مكان في أمريكا على الإطلاق . . لوس آنجلس . . وفي أرقي مكان في لوس آنجلس . . بيفرلي هيلز هناك عائلة بالغة الثهرة وبالغة الثراء تدعى عائلة FORESTTERتعمل في مجال الأزياء ؛ ولا يوجد فتاة أو امرأة في تلك الدار للأزياء إلا وهي بالغة الجمال والدلال والإثارة - سواء من أفراد العائلة أو من المتعاملين معها - أما الرجال فإنهم لا يقلون شأناً عن النساء ولهم من القدرات ما هو محسوب من الخوارق . لا توجد امرأة واحدة في هذا المسلسل إلا وضاجعت نصف دستة من الرجال داخل نطاق شركة فورستر . . ولا يوجد منزل من المنازل له علاقة بتلك العائلة إلا وبه طفل غير شرعي - أو عشيقة أو خائنة . . أو حامل أو سوف تصير "حاملاً" . . والأجمل من ذلك كله هو الآنسة - السيدة BROOK التي تزوجت رب الأسرة - الأب وأنجبت منه ولدين جميلين بعد أن كانت حاملا من الابن الأول . . ثم صارت عشيقة في طريقها للزواج من الابن الثاني . . أي تزوجت الرجل وولديه وأنجبت من اثنين منهما أحدهما الأب .

هذا المسلسل قد أجبر الناس - في عدة دول عربية وإسلامية

- على التوقف عن أعمالهم و مصالحهم أكثر من عام كامل" قبل أن يكتشفوا أنهم قد ضحك عليهم " ومازال البعض مستمراً في الموافقة على قبول ذلك هذا المسلسل الذي لا يشاهده الأمريكان.. والغالبية العظمى لا تعرف عنه شيئاً - لأنه فيما يبدو قد " صنع لأجل الآخرين " - حيث كان يعرض في معظم تليفزيونات العالم تقريباً في وقت واحد.. وإذا ما كانت إحدى الحلقات فقدت هنا فإن بوسع المتفرج أن يجدها هناك على القمر التركي أو الهندي أو الإسرائيلي أو على أي قناة فضائية أخرى. وانشغل الناس بهذا الأمر "الفاضح " أيّما انشغال - وكانت خطوط الهاتف عقب الحلقات تظل مشغولة لمدة طويلة للنقاش بخصوص الحلقة وماذا كانت ترتدي MRS FORESTER وكم هو جميل لون عينيها - ويا ترى هل أن ريدج حقاً يحب زوجته الجميلة أم أنه مازال يعشق BROOK التي تزوجها أباه وأنجب منها... وتتراهن الفتيات والفتية حول فرعية من الفرعيات ويظل الكل على أعصابه حتى اليوم التالي لمعرفة ما سوف يحدث، ولم يكن أحد يعلم أنه لن يصل لمعرفة ما يريد معرفته حتى بعد ثلاثة عشر عاماً - بل وكان البعض يتابع المسلسل على أكثر من قناة فضائية ويتنقل من واحدة لأخرى لكي يتمتع بالأسبقية في المعرفة !!. لقد وقع المتفرج العربي في قلب الكمين.. وظل على خيبته وضحالته.. حتى أفاق بعد ذلك بسنوات ليعرف أنه قد ضرب على قفاه بفعل العلاقات

الغربية والأزياء الغربية والحوارات الخالية من كل أنواع الآداب. وحتى أفاقت بعض التليفزيونات من كبوتها وأوقفت عرض المسلسل بعد أن نالها من اللعنات ما نالها من جراء ذلك.. ثم عاودت بعض المحطات البث وظلت بعض المحطات الأخرى على موقفها من توقف عرض المسلسل!! وهل يوجد نموذج آخر أكثر غثيانية من هذا النموذج!!

وفي المقابل.. كانت إحدى فرعيات المسلسل تسير على النحو التالي:-

ريدج كان على علاقة مع فتاه تدعى - MORGAN وصارت هذه الفتاة حاملاً - وتتدخل الأم - أم RIDGE وتجبر هذه الفتاة على الإجهاض.. وتقبل الفتاة واقع الإجهاض على مضض حباً في حبيبها الذي يتمثل لأوامر الأم القوية.. " وتروح أيام وتجي أيام.. وكان ياما كان " وبعد عدة سنوات وحكايات وروايات يتزوج ريدج هذا من طبيبة نفسية جميلة وينجب صبيانا وبناتا.... ثم تظهر هذه MORGAN مرة أخرى وتتذكر حملها الذي أجهضت وتطلب من حبيبها القديم أن يساعدها على الحمل من جديد كي تعوض ما " راح منها "!!، وقد يبدو هذا مقبولاً لو أن الأمر ظل محصوراً بينها وبين الرجل - لكن المدهش أنها تطلب الوساطة من زوجته!! وكان من المتوقع أن ترفض الزوجة هذا الأمر نهائياً وتطرد هذه المرأة من بيتها - لكنها ولكونها " طبيبة نفسية" قدرت الموقف بإنسانية

وضغطت على زوجها بشدة لكي يضاجع صديقته القديمة لتنجب منه طفلاً ليعوضها الطفل الذي تمّ إجهاضه.. ويوافق السيد ريدج على ذلك و يضاجع المرأة وتصير حامل بالفعل !! حسبي أن بعض ما ذكرت يكفي للتدليل على طبيعة المسلسل - فما بالك بطبيعة ما فعله وما يفعله هذا المسلسل في الأسرة العربية المحترمة التي كان ومازال أبناؤها يكبرون وينمون طيلة السنوات الماضية على تفاصيل مثل هذا المسلسل !!!

قال أحد وزراء الإعلام العرب حين ووجه بالعديد من الأسئلة التي تلوح بنوعية هذا الخطر القادم عبر الفضائيات - قال: هناك المحطات وهناك الريموت كونترول وليس عليك سوى الاختيار - إما هذا وإما ذاك.. فنحن لا نفرض رأياً أو برنامجاً على أحد؛ ليس هناك إكراه في الفرجة على تلك الفضائيات السفيهة التي تروج في تبجح ملون لكل ما يناهض قيمنا وتعاليم ديننا.

وفي مواجهة حرية الاختيار.. كيف يمكن للطفل أو المراهق أن يستدل على الاختيار الصحيح أو المناسب إذا ما كان البالغون والكبار يفشلون في الاختيار الصحيح كل - أو معظم الوقت !!-، ليس بمقدور الأسرة أن " تتحد " على هذا أو ذاك - ثم إن الكلمة في الغالب هي ل" السرية " والمشاهدة في الخفاء؛ فما هو ممنوع قطعاً في وجود الأب - سوف يبدو مرغوباً بشدة في حالة غيابه؛ وما تنهى عنه الأم - يبدو حلو المذاق، شهياً في

حالة انشغال الأم بالهموم اليومية وأعمال البيت التي لانهاية لها. وهكذا يوضع الأطفال أمام فوهات المدافع الموجهة إلى عيونهم وقلوبهم وضمائرهم ومعتقداتهم؛ وبعض المسؤولين يقول ببساطة: إذا لم يعجبك هذا البرنامج فعليك بالتحول إلى برنامج آخر على محطة أخرى. لعله يفترض أن الأطفال والمراهقون بوسعهم الاختيار. وقد يكون نسي أنهم في حالة "تكوين" وتربية وتنشئة وأنهم عبارة عن حيوانات استهلاكية صغيرة لا تعرف التمييز.. وأن البرامج جذابة.. ساخنة تدعو للمشاهدة ربما أكثر من مرة حين "يخلو الجو"!! ناهيك عن ذلك الصراع البارد داخل الأسرة حيث يتمنى الواحد منهم في حين من الأحيان - زوال وجود الآخر حتى ينفرد بالحرية وحده. فليس من المعقول تجاهل الضغط الشديد للبلبلة.. والزغللة والغواية والإغراء - وإذا ما قلنا بأن ذلك مجرد هوامش بسيطة لا تؤثر في الوجدان العام للأطفال والشباب والكبار فإننا نخالف قاعدة علمية بغير جدال. إن كل ما هو بشر قد يتأثر في الغالب بما يزغلل بصره من جديد جذاب.. وما يلفت نظره إلى مالم يكن على دراية به، أما عن الإغراء فهذا هو ما لا يفلت منه الصغير والكبير. إن مسلسل مثل الجريء والجميلات قد جعل معظم الشباب ينظر إلى الحياة على أنها "كذلك" أو من الممكن أن تكون كذلك. لقد سال لعاب الشباب على هذا النوع من النساء وهذا النوع من العلاقات.. وهذا الحجم من الثراء،

وهذا الإعجاب الشديد بسهولة الحصول على الآخر أو الأخرى.. وسهولة حل مصائب ومشكلات العلاقات الجنسية.. وأن شؤون الدين - في مجملها في هذا الموضوع هي من الأمور المنسية تماماً - ليس مجرد تفادياً لها أو تماشياً معها و عدم الخوض فيها - لا - إنها بين عديمة الأهمية أو لا وجود لها!!! ولا يغيب عنا أن الفرد هناك هو نتاج حضارة مادية صرفة.. وأن الفرد هنا تسكن أعماقه العوامل الدينية. فتراه - مسكيناً - يتلطم بين ما جبل عليه وما يشاهده بأم عينيه - لست أبالغ حين أقول أن ذلك " يزعزع " في داخله كل شيء - وحين نقول " كل شيء " فإننا بعيدون كل البعد عن المبالغة!!

ليس بعيداً عن ذاكرة الناس تلك القضية المضحكة المخجلة التي وقعت في البيت الأبيض بين الرئيس بيل كلينتون و المتدربة الشابة مونيكا لوينسكي والتي كادت أن تطيح بالرئيس كلينتون من الرئاسة لولا أن الاقتراع يحجب الثقة لم يجد "عيباً" فيما فعله السيد الرئيس وهو يدير شؤون العالم من المكتب البيضاوي في البيت الأبيض كان الحكم في صالحه - بل رأى البعض أنه رئيس مشرف ويدعو إلى الإعجاب - وما شأن علاقة جنسية في مكان العمل بالقدرة على القيادة لا شك في أنهم أحرار في أقدارهم في آخر الأمر .لكن ذلك يوضح ببلاء كيف يفكرون.. وإلى أي درجة تبدو حريتهم لانهاية لها!! لقد انشغل الجمهور العربي هنا - بالذات المثقفين والكبار وأساتذة

الجامعات والطلاب والمدرسة - ومما لا شك فيه أن الأمر قد وصل إلى كل البيوت عبر الفضائيات التي تتابع الفضيحة ! ! ماذا كان يدور في ذهن الناس ! ! إن الكلام واضح وضوح الشمس أنه كلام عن " الجنس والسلطة " . إن الذين تابعوا تفاصيل التحقيق ساعة بساعة يعرفون جيداً حجم الفارق بين المواطن هناك والمواطن هنا . . وبين الإنسان هناك والإنسان هنا .

إن على التليفزيون الآن مهاماً صعبة ، وعليه أن يقوم بحملة مواجهة توازي تلك الحملة القوية حتى وإن كانت أضعف منها من حيث الإمكانات والتقنية ، لكننا نريد مواجهة بالفكر لا تكون مواجهة عقيمة تقدم في حلقات طويلة مملّة ، مدة كل واحدة منها ساعة يقضي المقدم نصفها في الثناء على الحكومات ويكمل ضيوفها بملابسهم المبالغ في اختيارها النصف الآخر في استكمال الثناء على فلان ودور علان وإن خرج الحديث عن ذلك فإنما يخرج إلى حقل ألغام مملوء بالخوف من عتب فلان وغضب فلان .

إن التلفزيون ليس جهاز إطراء ومديح فقط ، وليس جهاز ترفيه وترويح فقط . . بل هو أيضاً أداة تربية وتعليم ، ولهذا أصبح على التليفزيونات العربية خاصة - والعالمية عامة ، أن تساهم في القيام بدورها الصحيح لتقوية القيم التربوية والعلمية والاجتماعية والمساهمة في تقديم ما يراعي القيم الصحيحة ، وعلى التليفزيونات العربية على وجه الخصوص أن

تواجه الغزو الثقافي والعولمة من خلال تقديم أعمال جادة مميزة تقوّي الترابط الاجتماعي وترسخ المفاهيم الدينية الصحيحة وتدعم القيم الاجتماعية الإيجابية كصلة الرحم وبر الوالدين والترابط الأسري ونبذ الخيانة والدعوة إلى الإخاء، وعليها أيضاً أن تنبذ كل سلوك مشين من القيم السلبية لكي تقوم بواجبها على وجه أقرب إلى الأكمل!!

إن التليفزيون.. هذا الجهاز الصغير أخذنا حتى من أنفسنا وسلبنا القدرة على الاختيار رغم تعدد اختياراته، وإذا أردنا أن نفهم المعنى فلنحاول معاً أن نتصور شكل الحياة اليومية والاجتماعية في حال انقطاع البث التليفزيوني " كله " لأي سبب من الأسباب - وإنه مجرد افتراض "!! مما لا شك فيه أن الكل سوف يعيد النظر في " ساعات اليوم الأربع والعشرون " التي كان - سابقاً يقضي ثلثها - وربما أكثر جالساً.. أو مسترخياً - أو متثائباً أمام التليفزيون. إن الحياة قد منحتنا أربع وعشرون ساعة في اليوم الواحد - وليست هذه الساعات المحسوبة من عمرنا " التي سوف نحاسب عليها يوم الدين " ساعات عبثية - بل هي مسؤوليات وجودنا على قيد الحياة - وفيها يتبدى الفارق بين العارف والجاهل!!

في حالة حدوث هذا الانقطاع سوف يعاود الناس التعامل مع بعضهم البعض.. وسيضطر البعض إلى التزاور والتراحم والسؤال عن أحوال الأسرة والأولاد.. وسوف يتذكرون مرة

أخرى " اللغة " التي هي الصلة بين الأفراد داخل الأسرة الواحدة على الخصوص، وقد نقوم بزيارة هؤلاء الذين حالت بيننا وبينهم ظروف البث المباشر وغير المباشر التي تبتلع الوقت وتجبرنا على تأجيل الكثير من الواجبات - وبعضها مقدس.

لو انقطع البث مؤقتاً.. قد نمد أيدينا إلى كتاب لنقرأ من جديد.. وقد نعيد النظر في كل ماكان ثابتاً ويومياً!! سوف يتعرف رب الأسرة على درجات أولاده في المدرسة.. وقد تهتم الأم برعاية الأطفال على نحو أفضل - وتتعرف على مشاكلهم وحكاياتهم؛ سوف يلعب الأطفال معاً من جديد في الشوارع والحارات وخلفيات المنازل.. سوف يتسامر الأصدقاء.. وسوف تطول روايات العجائز عن الماضي الجميل أيام البساطة؛ وسوف يستريح الكل من أخبار الصراع وسفك الدماء في كل بقعة من بقاع العالم.. وسوف يحب الناس بعضهم من جديد - والأهم من ذلك كله.. سوف يذهب الكل إلى عمله - ربما قبل الموعد لتناول القهوة وتجاذب أطراف الحديث.. وسوف تتحسن صحة الجميع بغير استثناء، إن البعض يحاول ذلك من حين لآخر؛ إنه الهروب من الزحام والضغط العصبي واختناقات المرور والتلوث - بالذهاب إلى الشواطىء أو الريف.. حيث الخضرة.. والبساطة والهدوء والبعد عن المنغّصات؛ إنه مثل " محاولة الإصلاح الكامل" التي نقوم بها للسيارة - تجديد نشاط.. ترويح.. قبل العودة إلى مفرمة الحياة اليومية من جديد. إن

هؤلاء الذين قدر لهم أن يفعلوا ذلك لمرة أو عدة مرات يظلون طويلاً يذكرون تلك التجربة بكل خير - لكن هيهات - لأن البث المباشر لن ينقطع أبداً.. لاسيما وأنه حين تصاب الكهرباء في البيت بأي عطل مؤقت يصاب الكل بالشلل ويدور حول نفسه وقد يفقد أعصابه.. ويزداد التوتر لأن " حقنة الإدمان " قد حان موعدها.. حتى بدأنا نترنح.. وتتزغلل الأشياء في عيوننا.

وإذا ما كان من بين أهدافنا محاولة التعرف على طبيعة تأثير البث المباشر على العلاقات الاجتماعية للشباب "في الوطن العربي إجمالاً وفي المملكة ودول الخليج بشكل خاص"، فإن من الطبيعي التعرف على الأبعاد المختلفة لتقنية البث المباشر وما يثيره من قضايا جدلية ولاسيما أنه حتى الآن لم يتم إجراء تقييم للآثار المترتبة على البث المباشر بشكل واضح رغم ارتفاع النبرة التي تشير إلى خطورة تأثيره على قيم وعادات المجتمع نتيجة الإقبال الكبير على اقتناء الأطباق المستقبلة لذلك البث الفضائي المباشر.

ولدراسة هذا التأثير حاولنا الاستناد على مجموعة من النظريات العلمية، حتى نكون أقرب للتحليل العلمي المنطقي، ولأن نظرية الغرس الثقافي تعد إحدى أهم النظريات المتعلقة بما يبث في وسائل الإعلام - وخاصة التليفزيون - كوكيل للتنشئة الاجتماعية Socializing AGENT أخذناها كمحور

قياس، فمن خلال التفاعل الشديد مع التليفزيون نجد أن عدد كبير من الناس يدركون الواقع الاجتماعي بصورة قريبة مما تعكسه شاشة التليفزيون.

تذهب نظرية الغرس الاجتماعي هذه إلى القول بأن مداومة التعرض للتليفزيون - ولفترات طويلة تنمي لدى المشاهد اعتقاداً بأن العالم الذي يراه على الشاشة ما هو إلا صورة مطابقة للعالم الذي يحياه، وتفترض هذه النظرية أن الأشخاص "كثيفي المشاهدة" يتعرضون لكميات ضخمة من البرامج التليفزيونية يختلفون في إدراكهم للواقع الاجتماعي عن أولئك الذين يشاهدون أقل، ذلك لأن كثيفي المشاهدة سيكون لديهم مقدرة أكبر على إدراك الواقع المعاش بطريقة متسقة مع الصور التي يعكسها التليفزيون.

وقد أضاف MICHAEL MORGAN بعداً دولياً لهذه النظرية بتحليلها على المستوى الدولي وقياس أثرها على اختلاف السياسات والثقافات الدولية فضلا عن قياس الأثر الواقع على المشاهد الدولي.. ويقوم الغرض الرئيسي لهذه النظرية على تصور علاقة إيجابية بين كثافة تعرض الجمهور لمضمون وسائل الإعلام وبين غرس وتشكيل أطر واتجاهات يعكسها هذا المضمون؛ وبناء على هذا الغرض الرئيسي ترتكز نظرية الغرس الثقافي على مجموعة من الافتراضات هي:-

أولاً: يعد التليفزيون وسيلة أساسية للغرس بالمقارنة مع

وسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى.

ثانياً: تشكل رسائل التليفزيون نظاماً ثقافياً متماسكاً يعبر عن الاتجاه السائد MAINSTREAMING.

ثالثاً: يعد تحليل مضمون الرسائل التليفزيونية مؤشرات على عملية الغرس.

رابعاً: يركز تحليل الغرس على مساهمة التليفزيون في الصور الذهنية على المدى الطويل.

خامساً: يركز تحليل الغرس على تدعيم الاستقرار وتجانس النتائج حيث أن كثافة مشاهدة التليفزيون تبدو وكأنها تحقق تجانساً داخل الفئات الاجتماعية المختلفة.

ويقاس التأثير وفقاً لهذه النظرية بأسلوبين:

الأسلوب الأول / يطلب من المبحوثين إعطاء توقعات كمية عن نسبة حدوث أشياء معينة سبق قياس نسبتها في التليفزيون من خلال تحليل المضمون، ثم بعد ذلك تجري التحليلات الإحصائية لمقارنة التوقعات الكمية بين كثيفي المشاهدة HEAVY Viewers وقليلي المشاهدة Little Viewers.

الأسلوب الثاني / يطلب من المبحوثين الإدلاء بآرائهم أو توقعاتهم حول بعض العبارات والمواقف التي تقيس الاتجاهات الاجتماعية مثل الأمن أو العلاقات الشخصية، ثم بعد ذلك تعقد مقارنة بين كثيفي المشاهدة وقليلي المشاهدة لتحديد مدى الغرس.

إلا أن بعض انتقادات وجهت إلى نظرية الغرس هذه نذكر منها :

- إن التغيرات الديموجرافية والاجتماعية يجب أن تؤخذ في الاعتبار، وليس فقط كثافة التعرض لأن هذه المتغيرات يمكن أن تحد من تأثير الغرس الثقافي ! !

- إن استخدام الجمل والعبارات غير المبهمة قد تؤدى بالأشخاص إلى إعطاء إجابات متحيزة لذلك يجب استخدام جمل أو عبارات مكتوبة بالصيغ المنفية والموجهة معاً .

- لا يجب النظر فقط إلى التأثير التراكمي لكثافة التعرض للتليفزيون بل يجب الاهتمام بنوعية البرامج التي تتم مشاهدتها، وعلى الرغم من تلك الانتقادات التي وجهت لنظرية الغرس هذه، إلا أن ذلك لا يمنع من كونها مدخلاً نظرياً ملائماً لمثل هذه النقاط التي نتعرض لها في كتابنا هذا، مع الأخذ في الاعتبار السيطرة على العوامل الوسيطة "المتغيرات الديموجرافية مثل السن والنوع والحالة الاجتماعية والحالة التعليمية والمستوى الاقتصادي الاجتماعي " .

ما هو البث المباشر..
وكيف أتى؟

لكي نتعرف على أمر ما يجب علينا أولاً أن نعرف من أين وكيف ولماذا أتى، ولكي نجيب على هذا السؤال كان لابد من دراسة تقنية البث المباشر ومفهومه ومدى انتشاره في المنطقة العربية والخليج بشكل عام، "وفي المملكة العربية السعودية بشكل خاص" وكذلك التعرف على أشكال الجدل المثار حول البث المباشر وأهم الحلول والمقترحات التي أجمع عليها الباحثون لمواجهة أضرار ذلك البث.

ومن باب التأريخ.. ومن باب كيف كان العالم قبل وبعد نشأة وتطور الأقمار الصناعية لابد من القول أنه قد مضى الآن ما يزيد على ثلث قرن ويقترب من نصف القرن منذ انطلاق أول قمرٍ صناعي في الفضاء عام ١٩٥٧ وكان هذا القمر سوفييتياً، وبعد ذلك بعام واحد أطلق الأمريكيون أول أقمارهم الصناعية، وتوالى إطلاق الأقمار التجريبية حتى عام ١٩٦٥ عندما أطلق أول قمر في المدار الثابت.. يدور بنفس سرعة دوران الأرض وكان ذلك للاستخدام التجاري، ثم توالى سيل منهمر من الإطلاقات.

وقد نجحت دول أوروبا الغربية في القيام بعمليات إطلاق الأقمار الصناعية وليس مجرد تصنيعها فقط، وبدأ عصر أقمار البث المباشر التي تبث البرامج التليفزيونية إلى بيوت المشاهدين مباشرة إذا ما زودت أجهزتهم الخاصة بمعدات بسيطة!!

وتتقدم تكنولوجيا الاتصال والبث المباشر بخطوات واسعة سواء كان ذلك في مجال الإرسال أو الاستقبال خاصة مع كون المنطقة العربية تقع جغرافياً في نطاق إشعاع الاتصال متوسطة القوة ومنطقة أقمار البث الأوروبية.

ومع تقدم تكنولوجيا هوائيات الاستقبال فمن المتوقع أن تصبح غالبية القنوات الفضائية على مختلف توجهاتها في متناول أي مشاهد " في سهولة إضافية " وهذا ما يخيف بعض المتخصصين في مجال الإعلام بسبب خطورة الغزو الثقافي الأجنبي على الثقافات الوطنية، خاصة وأن الثورة التكنولوجية الهائلة في مجال الاتصال أطاحت بالحدود الجغرافية وحولت العالم إلى قرية كونية صغيرة تعيش الأحداث في نفس لحظة وقوعها!!!

لكن ما هو بالضبط مفهوم البث المباشر؟؟

كانت بداية تعريف البث المباشر من خلال الإذاعة.. حيث عُرف البث المباشر في مجال الإذاعة منذ فترة طويلة، وكانت كل مادة تبث حية - أي غير مسجلة" ويقصد بذلك نوعية

البرامج التي تبث على الهواء، أو التي يكون المشاهد مشاركاً رئيسياً فيها".

ويعد البث المباشر من خلال الأقمار الصناعية ظاهرة حديثة نسبياً ظهرت بفعل قوة الإشارات المبعوثة من القمر الصناعي إلى ما بين ١٠٠ أو ٢٠٠ وات، وبعد أن كان الوصول إلى ما تبثه تلك الأقمار صعباً ولا يستطيع توفيره إلا النخبة.. أصبح بعد ذلك في الإمكان الوصول إلى أجهزة الاتصال التليفزيوني في البيوت مباشرة بمجرد تركيب معدات صغيرة إضافية دون المرور على محطات أرضية للاستقبال - صغيرة كانت أو كبيرة - وهو ما أصبح يطلق عليه "أقمار البث التليفزيوني المباشر" وأصبح الاتصال بين الأقمار الصناعية وأجهزة الاستقبال في المنازل مباشرة دون المرور على محطات أرضية يعرف بالبث المباشر عبر الأقمار الصناعية.

ووفقاً لهذا التعريف فإن البث المباشر يشمل الاستقبال الفردي أو الجماعي.. ويقصد بالاستقبال الفردي إمكانية تلقي الفرد لإشارة من قمر الاتصالات بوسائل بسيطة، وبخاصة الهوائيات الصغيرة، أما الاستقبال الجماعي فيقصد به استقبال الإشارات عن طريق تجهيزات للاستقبال معقدة وهوائيات أكبر من تلك التي يستخدمها الفرد، من أجل استخدام مجموعة من الأفراد، أو للاستخدام العام في منطقة محددة، أو بنظام توزيع يغطى منطقة معينة.

وقد استغلت الهيئات الإذاعية هذا التطور لعدة أغراض منها :-

- تقديم خدمة متاحة للجميع من خلال إشارات أعلى عن طريق هذا النوع من الأقمار الصناعية مثل تليفزيون إيطاليا ، أسبانيا ، والقناة الفرنسية الثانية .

- توصيل الإشارات لجميع أنحاء أراضي الدولة مثل السعودية وروسيا وتركيا .

- الإعلام الدولي ، وذلك بتوصيل خدماتها إلى جميع التليفزيونات التي ترغب في استخدامها مثلما فعلت وكالة الإعلام الأمريكية ابتداء من عام ١٩٨٣ .

- استخدامها لأغراض تجارية مثل القناة الفرنسية CANAL PLUS والقناة البريطانية SKY CHANNEL التي تبث خدماتها للمستفيدين بأجر .

ويمكن القول بأن البث المباشر قد ظهر منذ أقل من نصف قرن ، حيث كان نقل الرسالة قبل ذلك يتم من خلال ما يسمى TRANSMISSION POINT-TO-POINT كما يحدث في الاتصال التليفوني ، ولكن التقدم السريع في تكنولوجيا أقمار الاتصالات كان مذهلاً إذ أنه خلال مدة وجيزة طُورت ستة أجيال من الأقمار الصناعية حيث كان الجيل الأول يستطيع نقل ٢٤٠ مكالمة هاتفية وقناة تليفزيونية واحدة بينما أصبح الجيل الحالي من الأقمار الصناعية في استطاعته نقل ١٢٠٠٠ مكالمة هاتفية

وأكثر من قناة تليفزيونية. فضلاً عن ذلك فإن تطور الإمكانيات صاحبه تطور في السرعة والأداء، وأصبحت الرسالة الإعلامية تصل من المرسل إلى المستقبل مباشرة.. مما حقق مقولة " مارشال ماكلوهان " عن القرية الكونية GLOBAL VILLAGE، فما يحدث في أقصى العالم يشاهده كل أفراد الكرة الأرضية وقت حدوثه.

إن مقدمات البث المباشر عن طريق الأقمار الصناعية بدأت في ٣٠ مارس ١٩٧٥ في الولايات المتحدة الأمريكية عند استخدام شبكة H.B.O "HOME BOX OFFRICE" القمر الصناعي R.C.A لنقل بطولة العالم في الملاكمة للوزن الثقيل من مانيلا بين محمد علي كلاي وجو فريزر إلى نظم التليفزيون السلكي "الكبلي" في جاكسون وماسيسبي وفورت بيرس وفلوريدا. أما بالنسبة لليابان فقد كان أول بث تليفزيوني عبر أقمار البث المباشر في يوليو ١٩٨٧ حيث غطى الإرسال جميع الجزر اليابانية واستمر على مدى الأربع والعشرين ساعة في اليوم مما جعل بعض الخبراء ينظر إلى اليابان على أنها أول دولة في العالم تستخدم أقمار البث المباشر.

ولعل من أهم ما تجدر الإشارة إليه أنه حدث خلال العقد قبل الماضي تطوراً كبيراً وملحوظاً في النظام العالمي للأقمار الصناعية. ومع تطور تقنية البث عبر الأقمار الصناعية بدأ تطبيق التكنولوجيا الرقمية في نقل الصورة عبر الأقمار

الصناعية مما ساعد على تقليل التكلفة وتقديم خدمة أفضل كما أن التقارب بين صناعات الأقمار الصناعية والكوابل والهاتف والكمبيوتر منذ عام ١٩٩٣ واندماج الشركات العملاقة مثل تايم وارنر TIME WARNER ووالت ديزني WALT DISNEY بعد ذلك ساعد على النجاح الذي حققه البث المباشر بما سمح للتقنية الرقمية بتقديم مئات القنوات إلى المستهلكين، وأصبحت عملية إنتاج وسائل البث والاستقبال الفضائي هي أكثر المنتجات الإلكترونية رواجاً، ففي الولايات المتحدة بلغ عدد الأجهزة المباعة والمؤجرة مليونين ونصف المليون في غضون عام ونصف حتى عام ١٩٩٧ - وإلى جانب ذلك فإن برامج الفيديو الرقمي قد جرى بثها إلى أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط.

وقد بلغ عدد أقمار البث المباشر الموجودة في العالم حسب التقويم الدولي للأقمار لعام ١٩٩٢-١٩٩٣ ثمانية أقمار منها خمسة أمريكية في حين حددها تقرير الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي بأنها عشرة أقمار، ونضيف لآخر ما أضيف لها القمر المصري الذي انطلق في شهر أبريل عام ١٩٩٨، ولك أن تتخيل الآن كم وصل عدد تلك الأقمار في عام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥.

لقد ساعد على الحد من كثرة أقمار البث المباشر التطور التكنولوجي بالاعتماد على أقمار الخدمة الثابتة وجود عائق

قانوني يحد من انتشار أقمار البث المباشر، حيث جعلت هذه الأقمار تخضع في تنظيمها للاتحاد الدولي للاتصالات من جهة مواصفات الخدمة ومناطق التغطية، ويترك حق التقاط إشارتها من الأفراد لمن يمتلك تقنية استقبالها، أما أقمار الخدمة الثابتة فإن التقاط إشاراتها يخضع لترخيص من الجهات المسؤولة، كما إن إمكانية استقبال هذه الإشارات من هذه الأقمار لا تتوفر إلا للدول غالباً بحكم ما تملك من إمكانيات أكبر، وبالتالي نجد أنها تخضع لإمكانية رقابة المواد المذاعة.

كيف تطور النظام الفضائي العربي.. وهل تطور!!

النظام الفضائي العربي تطور بلا شك.. ولكن.. دائماً تأتينا ولكن هذه بالكثير من الأسئلة التي تحتاج لإجابات.. فهل تطورنا بالشكل المطلوب، وهل وصلنا إلى ما وصل إليه غيرنا أم أننا فقط أخذنا بقايا ما وصل غيرنا إليه؟!!.. فليس كل تطور تطور، وليس كل من تطور أصبح في مصاف المتطورين حقاً.. فالمتعلم لم يتعلم وإن تعلم، مادام للعلم نهاية ليس للوصول إليها سبيل، وصدق من قال في كتابه الكريم: ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾[يوسف: ٧٦].

لكننا لا ننكر أن الإعلام العربي عبر مشواراً جيداً في طريقه نحو التطور، وبذل الكثير في سبيل تحقيق هذا الهدف، لكن هذا التطور يحتاج إلى تطوير أكثر، ويحتاج أيضاً لاستغلال أمثَل يحقق الفائدة المرجوّة من مواكبة هذا التطور من حيث التقنية.. وأيضاً.. الفكر.

عموماً.. دعونا نستعرض بشكل سريع تطور النظام الفضائي العربي ومدى انتشار الأطباق الخاصة باستقبال البث المباشر في الوطن العربي:

يرجع عهد العرب بالفضاء إلى مرحلة مبكرة من عمر شبكة الفضاء الدولية عندما شاركت اثنتا عشرة دولة عربية في تأسيس منظمة " الأنتلسات " بعد أن شاركت من قبل في الاتحاد الدولي للاتصالات الفضائية الذي كان بمثابة هيئة مؤقتة تتولى تدبير الأمور الإدارية والتنظيمية للأنتلسات، وبعد ذلك اتجه تفكير العرب إلى إقامة نظام اتصال عربي لدعم الاتصالات بين الدول العربية في مجال الاتصالات التقليدية وفي مجال التبادل الإخباري والتليفزيوني وذلك عن طريق استخدام قمر صناعي عربي وإنشاء شبكة فضائية عربية يكون هدفها الأساسي هو استغلال إمكاناتها العديدة لدعم التواصل العربي إعلامياً وثقافياً لتنشيط التبادل التليفزيوني بفعالية أكثر.

ويمكن القول أن تفكير العرب بدأ يتبلور بعد ذلك بوضوح في أمرين نبدأ بأولهما، وهو الخاص بالأهداف المبتغاة من إقامة نظام فضائي عربي.. وهو ما يمكننا تلخيصه في:

١ - نقل المعرفة التقنية في علوم وتكنولوجيا الاتصالات الفضائية إلى الوطن العربي.

٢ - إيجاد سبل حديثه لربط الإعلام ربطاً مباشراً يحقق تنسيقاً قومياً عالياً في هذا المجال.

٣ - تحقيق الاستقلال العربي في مجال الاتصالات، والخروج من دائرة النفوذ الأجنبي الذي كان - ولم يزل - مهيمناً على الشبكات الفضائية الدولية.

٤ - توفير أكفأ البدائل التكنولوجية لربط الدول العربية إذاعيا وتكنولوجياً لتسهيل تدفق الأنباء والبرامج وتنمية المناطق النائية، وخدمة احتياجات التنمية الوطنية من الاتصالات وربط الشبكات الوطنية الأرضية ببعضها.

وفيما يلي بعض المعلومات الأساسية عن الشبكة العربية للاتصالات الفضائية: -

● تقضي اتفاقية المؤسسات العربية للاتصالات الفضائية " عربسات " بتوفير واستثمار قطاع فضائي عربي للخدمات العامة المتخصصة في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية لجميع الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية وفقاً للمعايير الفنية والاقتصادية المعمول بها عربياً ودولياً.

● تتكون الشبكة الفضائية العربية من قطاع فضائي تملكه المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية ويتكون من ثلاث أقمار صناعية، كما شمل القطاع الفضائي أيضاً محطتين للمراقبة والتتبع والسيطرة، وتقع المحطة الرئيسية في مدينة الرياض.. فيما تقع المحطة المساندة في الجمهورية التونسية.

● توفر الشبكة العربية للاتصالات الفضائية الإمكانيات الفنية لتعزيز كافة خطوات الاتصال المتعارف عليها دولياً مثل الخدمات الهاتفية " التلكس" والبرق (وإن كانت تقنية البرق بدأت تتلاشى في الآونة الأخيرة)، الفاكسيلي، تبادل المعلومات، والإرسال الإذاعي وتبادل البرامج التلبفزيونية.

● بدأت مرحلة التشغيل الفعلي للشبكة الفضائية العربية في ٢٢ - ٨-١٩٨٦ بنقل شعائر حج عام ١٤٠٥ هجرية إلى كافة أنحاء العالم العربي الذي اكتملت فيه محطات الاستقبال العربية.

● كانت هناك فتره تجريبية لمدة ستة أشهر بدأت في أول أكتوبر ١٩٨٥ وبدأ التشغيل التجاري يوم ١-٤-١٩٨٦.

● تعمل الآن في النظام أكثر من ١٢ محطة أرضية في كلٍّ من المملكة العربية السعودية، دولة الكويت، المملكة الأردنية الهاشمية، البحرين، موريتانيا، الجمهورية التونسية، الجمهورية الجزائرية، دولة قطر، جيبوتي، اليمن، سلطنة عمان، كما تتعامل العراق وسوريا مع القمر العربي عن طريق المحطة الأردنية، وتتعامل المغرب عن طريق المحطة الجزائرية.. وبهذا يصبح عدد الدول التي استفادت من إنشاء القمر العربي خمسة عشرة دولة، ثم زيادة حجم الاستفادة بدأ من عام ١٩٩٩ حتى عام ٢٠٠٤ من خلال محطات أخرى في العديد من الدول، وجاري الآن تطوير حجم الاستفادة أكثر.. خاصة وأن سعة النظام عند إنشائه كانت ٨٠٠ قناة هاتفية و٧ قنوات تليفزيونية وتلفزة جماعية، إلا أن هذا الرقم تغير وتطور مع إدخال التقنية.

● الخدمات التي يقدمها نظام عربسات بالنسبة للتليفزيون ركزت في القيام بتأمين عمليات تبادل المواد الإخبارية بين الدول

العربية مباشرة، وكذلك نقل الأحداث الجارية على الهواء من أماكن بثها كالمناسبات الدينية والمؤتمرات العربية والأحداث الرياضية، بالإضافة إلى تسجيلات البرامج التي يتفق على تبادلها.

● كان متوسط الإرسال التليفزيوني اليومي المباشر عبر الشبكة هو ١٢٠ دقيقة والمتوسط اليومي للاستقبال بالنسبة لتسع عشرة دولة هو ٤٥٠ دقيقة، وكان هذا يعني أن إمكانيات استخدام القمر الصناعي العربي مازالت بسيطة جداً بالنسبة للخدمات التي يوفرها، بل كان من الممكن اعتبارها شبه عاطلة، وبالتالي محاولة تطويرها، وقد بدأ التوسع في استخدام القمر العربي من قبل بعض الدول العربية عام ١٩٩٢-٩٣ حيث بدأ التوسع في استخدام هذا القمر العربي من قبل بعض الدول العربية، وأجرت معظم الوقت لعرض البث التليفزيوني من القنوات الفضائية الخاصة أوقات معينة لعرض برامجها عليه، ومن القنوات التي بدأت في الاستفادة من تلك الفرصة :-

أ) راديو وتليفزيون العرب ART الذي بدأ بث برامجه باللغة العربية من محطته في إيطاليا، ثم بدأ يخطط الآن للانتقال للأردن، وكان يبث على أربع قنوات خصصت للأطفال والرياضة والمنوعات ثم زادت عدد قنواتها مؤخراً وأضيفت لها عدة قنوات أخرى.

ب) تليفزيون الشرق الأوسط MBC وكان يبث برامجه

من لندن ثم انتقل إلى دبي.

ج) تليفزيون المستقبل FUTUREويبث برامجه من لندن، وإن كان يستند في بث بعض برامجه إلى مواقع أخرى الآن.

د) الشبكة الإخبارية الأمريكية CNNوكانت تبث برامجها من الولايات المتحدة الأمريكية ومن محطاته في آسيا على مدار الساعة.

ه) التليفزيون الفرنسي.. ويبث برامجه من فرنسا.

هذا بالإضافة إلى العديد من المحطات التي تعاقدت وتتعاقد للدخول في إرسال برامجها عبر تلك الأقمار أيضاً.

ولوفرة وكثافة تلك المحطات وذلك الزحام الحاد لتلك الأقمار على الذهنية العربية المستجدة في هذا المجال احتدم الجدل - ومازال محتدماً - وسوف يظل - بين الخبراء والمهتمين بموضوع البث المباشر والتقاليد الإسلامية بين معارض يرى أن هذه الظاهرة سوف يكون لها تأثير سلبي على الثقافة والتقاليد الإسلامية، وآخر معتدلٍ يرى أن محاربة هذا التطور ستكون مجرد محاولات ليس منها جدوى ويرى أنه يجب معالجة هذا الأمر بحب ووعي وإدراك وعمل جاد مخطط.

وتجدر الإشارة إلى أن الجدل المثار حول أضرار البث المباشر وأخطاره لم يثر على المستوى العربي فقط، بل أثير أيضاً على المستوى الدولي، حيث أوضحت عدة دراسات أهم المخاطر التي يمكن أن تحدث نتيجة البث المباشر على المستوى الدولي نلخص

أهمها فيما يلي :-

١ - اهتزاز ثقة القنوات القومية في نفسها حيث يرى القائمون على هذه القنوات أنه من الصعب أن يتميزوا في وسط هذا الخضمّ الهائل من القنوات الفضائية التي تتمتع غالبيتها بإمكانيات تفوق الحد.

٢ - أن البث المباشر يمثل خطراً على سيادة الدول النامية التي لا تستطيع مجاراة الدول المتقدمة في تكنولوجيا الأقمار الصناعية.

٣ - إمكانية وجود قنوات متعددة مختلفة الإمكانيات تثير الشك حول إمكانية خلق ثقافة عامة موحدة تشارك فيها كل دول العالم.

٤ - يمثل البث المباشر خطراً على أفكار وقيم وعادات المجتمعات المختلفة المتقدمة مثل روسيا أو أوروبا الغربية.

* * *

وهنا.. تجدر الإشارة للتأثير الاجتماعي لعولمة التليفزيون والتي تثير في قضية عولمة صناعة التليفزيون كثيراً من الجدل حتى في أوروبا الغربية، وبخاصة فرنسا التي تخشى على ميراثها الثقافي من أمركة القارة الأوروبية، وحجة الأمريكيين هي تلك الحجة القديمة المتمثلة في أن اقتصاديات السوق سوف

تفرض نوعاً من التوازن البرامجي لتلبية احتياجات الجمهور المحلي في الدول المختلفة، ولقد تحققت العالمية بالفعل في مجال الأخبار والرياضة والموسيقى.

الجدل المثار حول تأثير البث الفضائي في المنطقة العربية

تضاربت آراء العديد من الباحثين والكتاب المهتمين بالبث الفضائي وتأثيراته المختلفة، وظهرت ثلاثة آراء تجاه تلك القضية.. فقد رحب أصحاب الرأي الأول بالبث الفضائي ورأوا أن فيه إثراء للثقافة الإنسانية وفرصة للاطلاع على منجزات العصر ومتابعة الأحداث الجارية، ويرى أصحاب هذا الرأي أن البث المباشر يعتبر الطريق الوحيد إلى بوابة الحداثة والعصرية، ويرون أن الثقافة الغربية هي المصير المشترك الوحيد الذي ينبغي أن تسير إليه البشرية جمعاء وأن البث الوافد يعتبر اتصالاً حضارياً وتلاحقياً ثقافياً أكثر من كونه اختراقاً فكرياً أو هيمنة ثقافية، وينادى أصحاب هذا الرأي بضرورة الانفتاح الثقافي على العالم والتحلي بروح العصر والتفاعل الإيجابي مع المتغيرات العالمية.

أما أصحاب الرأي الثاني فقد عبروا عن مخاوفهم من هذا البث وكل منهم يثير في ذلك قضايا الأمن الثقافي والغزو الفكري والذاتية الثقافية، ويرى أصحاب هذا الرأي أن الثقافة الغربية التي تأتي عبر البث الفضائي هي ثقافة مادية وغازية

ومن ثم يرى في مواد البث الوافد خطراً على قيمنا واختراق لثقافتنا. وتمثل الذاتية الثقافية إحدى المشكلات الخاصة بالبث المباشر حيث يتخوف أصحاب هذا الرأي من تأثير الغزو الثقافي على الهيئة الوطنية لمجتمعهم ويرون في ذلك وجهاً جديداً للاستعمار الإعلامي ولقضايا التبعية السياسية والاقتصادية والإعلامية.

والجدير بالذكر أن تكنولوجيا الاتصال المتقدمة التي زودت التغطية الإعلامية الدولية بالأدوات اللازمة لتحقيق السهولة في العمل، والإجادة في الأداء والسرعة وتخطى الحدود الجغرافية.. لم تضمن سوى مصالح من يملكون على حساب من لا يملكون، ولم تتح فرصة المشاركة الإيجابية في عملية التدفق الإعلامي إلا للدول الكبرى - بينما لم توفر للدول النامية سبل الحفاظ على ذاتيتها وهويتها أو حماية صورها القومية ووقايتها من محاولات التزييف والتضليل المستمر التي تتعرض لها - وكذلك عمليات التشويه والتحيز ضدها التي تعكس اتجاهات غير ودية.. وتشير الدلائل إلى أن ذلك التأثير لم يعد قاصراً على عامة الشعب، بل امتد ليطبع بصماته على صناع القرار والنخبة مما يسبب العديد من الأزمات والتوترات لدى النخبة وصناع القرار وربما ازدياد حدة الصراع أو تغير أسلوب الإدارة عند هؤلاء.

وفي الرأي الثالث تناول أصحاب هذا الرأي القضية من

منظور سياسي ضيق ورأوا أن البث المباشر يتيح فرصة للتخلص من احتكار السلطة للمعلومات والثقافة والممارسات المضجرة والمملة لأجهزة الإعلام المحلية والذي تبرز معالمه على النحو التالي :-

أولاً : يرتبط البث المباشر وتزايد القنوات الفضائية بالتقدم الضخم الذي تم إحرازه في مجال تقنية الاتصالات الفضائية، خاصة فيما له علاقه مباشرة بتنامي قوة الأقمار الصناعية وصغر حجم الهوائيات ورخص ثمنها.

ثانياً : يصعب جداً - إن لم يكن مستحيلاً - السيطرة على هذا البث من خلال الإلغاء أو التشويش - هذا فضلاً عن تكاليفه التي لا تستطيع الدول النامية تحملها.

ثالثاً : هناك من يرى أن الدول الغربية وهي الأقوى علمياً وتقنياً وخبرة ومالاً.. تحاول تلطيف البث المباشر لتحقيق الهيمنة الاتصالاتية MEDIA IMPERIALISM وهي أحد أبعاد الهيمنة الثقافية والتي تعد بدورها أحد مظاهر أو مداخل الهيمنة النشطة على الدول النامية.

رابعاً : بذلت عدة محاولات خلال عقدي الثمانينات والتسعينيات لإيجاد حلول جادة لمشكلات اختلال نظام الاتصال الدولي ومنها لجنة " شون ماكبرايد " وقد باءت هذه المحاولات بالفشل فبقي القوي قوياً وازداد الضعيف ضعفاً.

خامساً : هناك مواثيق واتفاقيات ومبادئ دولية صادرة في

إطار الأمم المتحدة واليونسكو واتحادات الإذاعات والمعلومات والبرامج لها قوة ملزمة لجميع الدول، وهي في بعض جوانبها في غير صالح الدول النامية.

سادساً: أسهم موقع الدول العربية الجغرافي - لاسيما في المناطق الساحلية منها - في استقبال المشاهدين للعديد من القنوات من آسيا وأوروبا والدول العربية الأخرى دون حاجة إلى هوائيات إضافية.

سابعاً: يذهب البعض في التحليل إلى القول بالتفسير التآمري للبث المباشر، أو على أنه محاولة خبيثة مستترة تآمرية ضد الإسلام والمسلمين؛ في حين يذهب آخرون إلى مخالفة هذا التفسير والقول بأن هذا هو تفسير المسبوقين والمغلوبين على أمرهم.

ثامناً: يذهب بعض الباحثين إلى أن قنوات البث المباشر الغربية والشرقية والتي تخضع لهيئات حكومية أو شبه حكومية تتميز بالأصالة والإبداع وبعيدة عن الإسفاف والتدني إلى حد كبير؛ وتتمثل الخطورة والإسفاف في بعض القنوات التجارية التي تتجه للتركيز على العنف والإثارة الجنسية والإباحية مما يتصادم مع ثقافة الإسلام وثقافة العديد من دول العالم.

تاسعاً: على الرغم من اتجاه أوروبا إلى التقارب السياسي والاقتصادي والإعلامي، إلا أن كل دولة تبذل جهوداً كبيرة

للحفاظ على هويتها الثقافية المتميزة وتحاول الوقوف في وجه الغزو الثقافي القادم مع البث المباشر من دول أخرى في نفس القارة أو خارجها، وهذا ما فعلته اليابان حفاظاً على ثقافتها وفكر وسلوك أبناءها، وكذلك أيضاً ما فعلته فرنسا وكندا بعد أن ضاقتا بالغزو الثقافي الأمريكي في وسائل الاتصال، وإذا كان هذا التخوف والإجراءات تتخذ من جانب دول ذات قوة اقتصادية وإعلامية، فالحاجة أشد لذلك في دولنا الإسلامية.. خاصة وأن التأثير في هذه الحالة الأخيرة أحادي الاتجاه في غيبة التخطيط العلمي لتحديث الاتصالات الإسلامية.

لكن ما هو موقف الباحثين الأجانب من قضية الغزو الثقافي عن طريق مواد البث الوافد؟!.. ومرة أخرى يمكن تصنيف هؤلاء الباحثين إلى ثلاث فرق..

أ) فريق يرى في مواد البث الوافد وسيلة من وسائل الغزو الثقافي.. حيث يذهب "هاربرتشيلر" HERBERT SCHILLER أن هناك أهدافاً سياسية واقتصادية وعسكرية ترتبط بعملية توسع نطاق البث التليفزيوني الأمريكي ومحاولة الوصول إلى الجماهير في الدول الأخرى، ومن ثم فإن التوسع الكبير الذي يشهده التليفزيون الأمريكي منذ السبعينات - في رأي شيلر - ما هو إلا جزء من خطه كبرى لوزارة الدفاع الأمريكية لإخضاع العالم للسيطرة العسكرية والمراقبة

الإلكترونية، ونشر الثقافة التجارية الأمريكية على أنها الثقافة الكونية، ويرى شيلر أن التفوق " القوة " -POWER SUPREMICY هو السلاح الذي يستخدمه التليفزيون التجاري الأمريكي - والذي لا تستطيع إلا دول قليلة أن تواجهه.

ب) وفريق آخر يرفض اعتبار البث المباشر الوافد وسيلة من وسائل الغزو الثقافي؛ حيث ينفي" أيثل دي سولا بول"ITHEL DE SOLA POOL إمكانية وجود غزو ثقافي عن طريق البث المباشر - فسوق الأفكار MARKET PLACE OF IDEAS ليست بالسوق التي تروج فيها الأفكار المستوردة بسهولة.. فالأفكار المحلية والبرامج والمواد الوطنية تتمتع بمجموعة من المزايا التي تحميها من الغزو الأجنبي، فهي محمية عن طريق اللغة LANGUAGE وهي محمية بحواجز الدعم والتأييد الاجتماعي BARRIERS OF SOCIAL SUPPORT كما أنها محمية أيضاً بالثقافة المجتمعية التي تحيطها SURROUNDING SOCIAL CULTURE.

ج) فريق يشير لحدوث غزو ثقافي لكنه يؤكد على أسبابه الداخلية: حيث يرى " تانستول " TUNSTALL أن قدرة الثقافة الأمريكية على الانتشار داخل الدول الأخرى عن طريق وسائل الإعلام لا يأتي من قوة الثقافة الأمريكية وتفوقها، وإنما من عدم ملاءمة الثقافات التقليدية في هذه الدول؛ فمن

خصائص هذه الثقافات أنها :-

١) ثقافة الصفوة ELITE

٢) ثقافة مكبلة بالقيود SANCTIONS

٣) ثقافة ذات توجهات دينية

٤) ثقافة تستخدم لغة لا يفهمها غير فئة قليلة من الصفوة أو رجال الدين، ومن ثم فهم يرون أنها ثقافة لا تلبي احتياجات الإنسان المعاصر الذي يبحث عنها في الثقافات الوافدة إليه أو الغازية لمجتمعه...

ولكن.. ماهي الملاحظات العامة على مواقف الباحثين العرب والأجانب

من خلال النقاط السابقة وبعد القيام بأبحاث ودراسات عديدة تبين لنا أن هناك ملاحظات عامة على موقف الباحثين - عرباً كانوا أو أجانب- نذكر منها :

١) غلبة الطابع الأيدلوجي على هذه المواقف، حيث رأينا أنها تعكس رؤى فكرية سابقة واتجاهات معرفية ثابتة لدى هؤلاء الباحثين.

٢) إن معظم هؤلاء الباحثين ينطلقون في مواقفهم من نظريات مدرسة التبعية واطرها بحيث يمكن القول أن هذه المواقف المختلفة إزاء قضية الغزو الثقافي عن طريق البث الوافد تعتبر تمثيلاً جيداً لاتجاهات باحثي التبعية وفروضها.. ويمثله هاربرت شيلر و كارل نورد نسترينج وغيرهم - وهناك الجانب

المعارض لهذه النظريات وهو الذي يمثله " أيثل دي سولا بول" وغيره وهناك من يحاول التوفيق بين الطرفين ويطرح رؤيا بديلة ومنهم " دانيل لينر " و " لوشيان باي " وغيرهم.

٣) إن معظم هذه المواقف قد تم اتخاذها في ضوء دراسات نظرية وتحليلات فلسفية ولم تستند إلى نتائج تدعم رؤاها أو تبرهن على فروضها ولذلك فإنه من الصعب الانحياز إلى أحد هذه المواقف دون غيرها في ضوء نقص الأدلة والبراهين الصريحة شبه النهائية على صحة أياً منها.

٤) إن هؤلاء الباحثين قد نظروا إلى وسائل الإعلام ولاسيما التليفزيون باعتبارها الوسيلة الأساسية لعملية الغزو الثقافي، وإن لم يغفل الوسائل الأخرى كالشركات متعددة الجنسية والمراكز الثقافية الأجنبية والبعثات العلمية وغيرها.

٥) إن أسباب الغزو الثقافي عن طريق البث الوافد - كما يراها هؤلاء الباحثون يمكن تقسيمها إلى قسمين:-

أ) أسباب موضوعية خارجية.. وتتمثل في رغبة الدول الكبرى في السيطرة والهيمنة لأسباب اقتصادية وسياسية وعسكرية.

ب) أسباب داخليه ذاتية: وتتمثل في عدم ملائمة الثقافات التقليدية للبلاد النامية وضعفها وقابليتها للغزو.

٦) إن هؤلاء الباحثين لم يروا في الغزو الثقافي عملية اتصالية لها عناصرها المتعددة وأبعادها المختلفة " قائم بالغزو - رسالة -

وسيلة - جمهور - تأثير - رد فعل "، بل نظروا إليه على أنه عملية ثنائية خطية " قائم بالغزو - جمهور يتعرض للغزو " .. ولهذا اتسمت آراؤهم في بعض الأحيان بالجزئية ولم يتمكنوا من صياغة رؤيا شاملة لهذه العملية.

الاغتراب الثقافي

ومن أهم الانتقادات الموجهة للبث المباشر كونه يساعد على زيادة ظاهرة الاغتراب الثقافي في المجتمعات العربية.. وقبل التعرض للآراء المختلفة الخاصة بكيفية جدوى ذلك يجب الإشارة إلى التعريفات المختلفة للاغتراب كظاهرة اجتماعية، حيث يذهب الكثير من الباحثين إلى أن الاغتراب في جوهره يعني الانسلاخ عن المجتمع وعدم الانتماء إليه وعدم الاندماج فيه وعدم قدرة الفرد على القيام بدوره الذي اختاره لنفسه.. وبالتالي فإن الأفراد لا يستطيعون أو لا يملكون القدرة على تقدير ما يتطلعون إليه من نتائج.. أو حتى العمل على تحقيقها، وعلى هذا فإن الاغتراب من الناحية الاجتماعية هي حاله يشعر خلالها الفرد بالانفصال عن المجتمع بما يعني من ذلك شعور بالوحدة وانعدام علاقات المحبة والصداقة مع الآخرين.

ويرى الكثير من الباحثين أن الاغتراب هو أحد نتائج عملية التعرض لوسائل الإعلام بوجه عام ولذا فإن المجتمع العربي - ولاسيما الشباب فيه - هو الأكثر عرضة لحدوث ظاهرة الاغتراب في ظل انتشار أجهزة البث المباشر في البيوت العربية

- لأن ما يقدم من خلال هذه القنوات الفضائية يشير إلى المجتمعات الغربية على أنها هي النموذج الأمثل للمجتمع المعاصر ويقدمها على أنها بلاد الحرية والمتعة واحترام حقوق الإنسان، بل ويحاول التأكيد على أن السعادة تكمن في الحرية المطلقة التي لا تلتزم بعادات أو تنتظم بقواعد أو تنتهج دين، ومن هنا يعيش الشباب حالة من حالات الاغتراب عن مجتمعه وعن واقعه المعاش فيشعر أنه غريب في داخل نفسه وداخل البيئة التي يعيش فيها ويزداد عنده بشكل خاص الاغتراب عن الثقافة العامة " أحد أكثر المجالات استخداماً فيما يتعلق بمفهوم الاغتراب كما يقرر NETTLER في بحثه AMEASURE OF ALIENATION، وقد عُرّف الاغتراب الثقافي على أنه "عملية نفسية اجتماعية ذات مضامين ثقافية يمر بها الفرد في ظروف معينة فيجد فيها نفسه متبنياً لبعض القيم والمظاهر السلوكية التي تنتمي إلى ثقافة مجتمع آخر عايشها الفرد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.. وما يصاحبها في ذلك من أعراض سلوكية، انسحابية أو رفضية أو انغلاقية ".. ومن هذا التعريف نلاحظ نقاط عديدة.. منها:

١) أن الاغتراب الثقافي عملية ذات أبعاد متفاعلة ومراحل متتابعة ومتلاحقة، تتأثر كل مرحلة بما يسبقها، وتؤثر فيما يلحق بها.

٢) إن هذه العملية نفسية - اجتماعية - بحيث يمكن القول

أن الاغتراب الثقافي ظاهرة نفسية ذات انعكاسات اجتماعية أو ظاهرة اجتماعية ذات انعكاسات نفسية، أو كلاهما معاً.

٣) إن هذه العملية ذات مضامين ثقافية متعددة.. وليس مضموناً واحداً، إذ يمكن أن تكون أشكال الاغتراب الثقافي مختلفة داخل الإطار المجتمعي الواحد تبعاً لعمق الثقافة ذاتها وثراء دلالاتها وسعة أطرها.

٤) إن هذه العملية يمر بها الفرد، أي أن الاغتراب الثقافي حاله مؤقتة يمر بها الفرد وليس صفة ملازمة له طوال حياته أو سمة للوجود الإنساني بصفة عامة على ما ذهب إليه الفلاسفة الوجوديون.

٥) إن هذه العملية تحدث في ظروف معينة - قد تكون الظروف داخلية متعلقة بالفرد ذاته، أو خارجية متعلقة بالمجتمع الذي يعيش فيه.. كالظروف الاقتصادية والسياسية وغيرها.

٦) إن هذه العملية هي نوع من الخبرة، تقوم على الإدراك والوعي من جانب الشخص المغترب نفسه، فإذا انتفت الخبرة أو فقد الإدراك والوعي بهذه العملية انتفى معها الشعور بالاغتراب.

٧) إن هذه العملية تقوم على تبني الفرد لبعض القيم والمظاهر السلوكية التي تنتمي إلى ثقافة مجتمع آخر أو ترتبط بها. ويزيد من خطورة الاغتراب الثقافي الذي يحدث نتيجة البث المباشر غياب المثقف العربي الذي يمكن أن يمثل القدوة

لدى الشباب العربي.. وغني عن البيان أن عمليات الترويض الثقافي التي تمارسها الأنظمة العربية على المثقف هي التي سببت الانهيارات والتبلد الثقافي الذي يغلف حياتنا السياسية والاجتماعية فيعطيها طابعاً لا عقلانياً؛ فالثقافة بمعنى التأمل والتبصر العقلي في الفعل السياسي أو عقلية السياسة لا حضور لها في حياتنا الاجتماعية.. إن غياب العقل عن أفعالنا ظاهرة متفشية على مستوى السلوك الفردي الجماعي.

إن كل الأفكار الثقافية السابق عرضها تشير إلى الأضرار المتوقع حدوثها نتيجة البث المباشر إذا لم تسارع الدول العربية بوضع استراتيجية لمقاومة هذه الحرب الإعلامية التي تدور على أشدها بين المجتمعات المختلفة حيث تسابقت الدول إلى البث التليفزيوني للدول الأخرى عبر القنوات الفضائية لنقل ثقافة مجتمع إلى آخر علّه يتأثر بها.

لقد علا صوتنا في الفصول السابقة.. نسب ونلعن في الغزو الفضائي القادم من بعيد والذي يحمل برنامجاً صريحاً بإعادة تأهيلنا من جديد وغسل دماغنا لكي يناسب الألفية الثالثة التي لن تتسامح مع عالات حضارية وليس هناك - لديها - أي مكان في برامجها لإعالة آخرين.

موجز طويل...
شرخ في الجدار العربي

إن الدفاع عن النفس غريزة، كما أن العدوان غريزة و والجنس غريزة والجوع غريزة.. إلخ...

وكانت مهمة الإنسان منذ لحظة تواجده الأولى - في أي مكان هي تحصين نفسه ضد الآخر، سواء كان هذا الآخر هو الطبيعة التي لا تبقي ولا تذر حيث تكشر عن أنيابها " ومازالت تفعل ذلك في صورة الزلازل والبراكين والأعاصير " التي تأتي على الأخضر واليابس والحيوان - حتى تهدأ تلك العاصفة أو ذلك الإعصار من نفسه، وليس هناك من طريق أمام الإنسان سوى التحمل ودفع الثمن بين الحين والآخر. لكن بعض الدول التي تعرف " تقريباً أو تحديداً " متى تهاجم تلك الأعاصير ومتى تتحرك تلك البراكين قد فعلو كل ما بوسعهم " دون كسل أو تراخي أو تسليم بأنه بدٌّ لا بدَّ منه ".

اليابان على سبيل المثال - وهي منطقة زلازل منذ أبد الآبدين قد فعلت ما لا يقوى عليه الكثيرين في دفاعها عن نفسها ضد تلك الزلازل، ربما أنه ليس بوسعها الحيلولة دون وقوع الزلازل.. وليس بمستطاعها استخدام العلم والتقنية للتنبؤ بالزلازل أو

على الأقل سرعة التلبية في حال وقوعها حين أعادت صياغة نظريات هندسية البناء في المباني الكبيرة على أساس تحمل الصدمة بواسطة قواعد - ليست خرسانية كما نعرف في علم التشييد وإنما ما يشبه "الست"، فبدلاً من أن يقوض المبنى من أساسه تراه يتأرجح في الهواء راقصاً حتى تزول الهزة.. حتى أن هزات مثل ست درجات ونصف على مقياس ريختر لم تعد تحدث خسائر تذكر.

كان الإنسان حذرا جداً من الحيوان في بادىء الأمر - ثم تحرك حذرة خطوات بعيدة ليشمل الإنسان الآخر - الذي قد يهاجمه طمعاً في مأكله أو مشربه أو ممتلكاته أو أهله - وحين نقفز طويلاً من مرحلة البداءة تلك ونصل حتى الآن - نجد أن الإنسان مازال بالغريزة عدوانياً.. ومازال بالغريزة دفاعياً!!.

ليس خافياً على أحد أن الضعيف لا يهاجم القوى - لكن القوى هو الذي يهاجم الضعيف - ومن حاصل جمع قوة مع قوة يزداد القوي قوة و يزداد الضعيف ضعفاً. وإذا كان الهجوم الكلاسيكي على الآخر هو "بالقوة المسلحة" القوات والسلاح وخطة الغزو وضم أراضي الغير "بل وضم الغير.. نفسه" بالقوة - وإذا كان هذا الهجوم مازال موجوداً " وسوف يظل موجوداً إلى يوم الدين " - فالأولى بهؤلاء الذين يرون في أنفسهم فريسة محتملة أن يحسنوا بناء حائط الصد وأن يستعدّوا جيداً لهذا الهجوم الوشيك!!.. والعلم العسكري يفيد بضرورة استخدام

عناصر الاستطلاع والمفارز المتقدمة منه خلف وداخل خطوط العدو للتعرف على الموقف على الطبيعة وذلك تمهيداً للدخول - أين.. وكيف.. ومتى!!

كانت المنطقة العربية عبر العصور هدفاً للآخرين الذين لم يتوقفوا أبداً عن محاولة الاستيلاء عليها بالقوة المسلحة؛ وقد راحت كل امبراطورية تسلم العلم للامبراطورية التالية، وعبروا بنا - فوق جثث الملايين عبر التاريخ.. حضارة إثر أخرى حتى هذه الساعة!!

لكن العالم "القوي" - "والأقوى" - الذي يرى أنه صاحب الحق والأحقية في إعادة صياغة العالم قد صارت له من الأساليب والتكتيكات ما يلفت النظر ويستوجب التحسب إذ لم يعد مقبولاً "من الناحية الشكلية على الأقل" أن تتحرك القوات من مكانها لتحتل أرضاً أخرى أو شعباً آخر دون مقومات "حضارية" لذرّ الرماد في العيون. فيبدأ الأمر بطرح الخلاف على الواجهة الدولية "الأمم المتحدة ومجلس الأمن" ثم الحصول من هذا المجلس على شرعية ما للتدخل - ماذا لو رفض هذا المجلس منح الشرعية - لا بأس - وليذهب هذا المجلس إلى الجحيم.. فهناك حق الفيتو - وهناك ما هو أهم من الفيتو - وهو القدرة على القيام بالعمل - أي عمل - دون أي اعتبار لأي جهة - والأمثلة على ذلك لا حصر لها - بقيادة الولايات المتحدة وإسرائيل!! وبما حدث ويحدث في أفغانستان والعراق

وفلسطين.. وغيرها.

ونعود إلى المفرزة المتقدمة وعناصر الاستطلاع التي تبدأ بقياس الرأي العام والإحصاءات وقياس ردود الأفعال لمعرفة ماذا سوف يحدث إذا ما فعلنا كذا أو كذا!!.. والطريق إلى ذلك الآن هو التليفزيون في المحل الأول - فهو ذلك الجاسوس الخفي الملون الذي يضج بالرقص والغناء ليل نهار - إنه فعلاً هو "السّم في العسل".

ولأن هذا "الواقع العربي" - من وجهة نظرهم - لا يصلح للحياة أو التعامل مع مفردات العصر الحديث "وسط هذا العالم الخبيث" فلابد من العمل على تغييره وتجهيزه للألفية الثالثة - دون مشاغبات أو رفض أو مساومة؛ إنه فرض الأمر الواقع عبر شاشات التليفزيون.

إن هذا المخطط قيد التنفيذ من نهاية الحرب العالمية الثانية "١٩٤٥".. واستمر على سريانه طوال فترة الحرب الباردة "١٩٤٥ - ١٩٩٠" حتى سقوط الاتحاد السوفييتي، وعقب سقوط الاتحاد السوفييتي وانفراد الولايات المتحدة بالخريطة العالمية صار هناك سيناريو آخر - أكثر بساطة وأكثر دقة وأكثر تعسفاً: "من ليس معنا فهو ضدنا".

لقد أفلتت أوروبا من براثن القرصنة الأمريكية لأنها قد وجدت في نفسها وإمكانياتها ما يساعد على التنبه "ولا نقول المواجهة"؛ بالإضافة إلى حذر كل القوميات الأوروبية في الدفاع

عن هويتها قبل مصالحها.. هناك الأمة الألمانية وهناك الأمة الفرنسية وهناك الأمة الإنجليزية.. وهناك وهناك.. إلخ؛ لديهم ما يستحيل التفريط فيه.. وما لا يجوز قبوله باسم شعوبهم التي تساهم مباشرة في صنع واقع تلك الأمم.

وإذا ما ذهبنا بعيداً إلى آسيا سوف نجد ما هو ملفت للنظر في حالتي اليابان والصين وكوريا وهونج كونج وماليزيا وإندونيسيا.... إنها شعوب ذات حضارة عريقة لم تقبل أبداً أي مساومة على تلك القيم!! فقد هزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية هزيمة نكراء - وسلمت - بدون قيد أو شرط للقوات الأمريكية بعد قصفها بالقنابل النووية " هيروشيما و ناجازاكي " لكنها لم تسلم أبداً عاداتها أو تقاليدها أو نظم حياتها أو قصصها وأساطيرها وألوان ملابسها وتواريخها التي تحتفل بها كل عام ولا حتى أسماء شهورها.. وظلت تعمل في صمت وكبرياء - حتى صارت - تلك الجزيرة الصخرية هي ثاني أكبر اقتصاد في العالم غير عابئة بوجود الجيش الأمريكي على أراضيها... ومازال هناك!!

كيف تفادت اليابان السقوط.. وكيف استطاعت المقاومة والإنجاز؟! ألم يكن هناك من سبب منظور آخر سوى أن قيم هذه الأمة لم تخضع للاحتلال برغم احتلال الأرض وتسليم الإمبراطور الياباني بدون قيد أو شرط؟!.. لكنهم احتلوا أرضاً ولم يحتلوا شعباً -؛ وكان - أيضاً - نفس الحال في كوريا بعد

الحرب الكورية، وهو نفس الحال في الصين التي كانت حتى عام ١٩٤٩ أمة من النيام.. يأكلون الأفيون وينامون مثل قطعان الماشية..حتى استعادوا هويتهم واستحثوا نشاطهم وهمتهم ليقولوا للعالم أجمع "نحن لم نمت"؛ وليس المثال في هونج كونج أو تايوان أو ماليزيا أو إندونيسيا بأقل من ذلك!!

لم تستطع كل القوى العسكرية والسياسية والفكرية على امتداد التاريخ من تحويل هذه الشعوب إلى أغنام، ولم تفلح كل وسائل البث المباشر والموجهة والصريحة في جعل سكان هذه الأراضي يتبنّون موقفاً آخر أو رأياً آخر، ذلك لأن وحدتهم مع الأرض مذهلة.. فجاءت إنجازاتهم هائلة.

لم يعد غريباً أن نناقش كيف صار بوسع الصين أن ترسل مركبة فضائية مأهولة رغم كل محاولات الغرب للحيلولة دون ذلك!!.. إن المردة والعماليق لن يصحوا أقزاماً أبداً إلا إذا وافقوا على ذلك وساهموا فيه!! لكن حائط الصد العربي قد صار اختراقه سهلاً، وجدارنا الدفاعي تصدع بصورة ملحوظة ولم يتبق لنا من خندق ندافع منه ونتمسك به سوى: هويتنا؛ وهذا هو بيت القصيد.. أو كما يقول المثل: مربط الفرس.

ولأننا قادرون على المواجهة ولأننا لسنا أقل من هؤلاء في شيء.. لابد لنا من العودة إلى حكاية النعام والأغنام. لابد وأن نعرف ماذا يريدون منا الآن - وكيف يريدون ذلك - ولماذا؟!.. ومتى أردنا أن نعرف الإجابة سنعرفها ومتى عرفناها سنعرف

- بعون الله - كيف نبدأ..

إنهم يريدون إعادة صياغتنا على هواهم.. وإعادة النظر في نظامنا التعليمي ومناهجنا.. ويريدون منا إعادة النظر في سياستنا وفي توجهاتنا وفي استقلاليتنا.. حتى أصبح الآن مطلوب منا أن نعيد النظر في " ديننا " - تغيير الخطاب الديني - RELIGIOUS DISCOURSE نبذ العنف - " أليس هذا مضحكاً؟!!

كيف يريد الإعلام إقناعنا أننا أجرمنا في حقهم وأن علينا أن نتحمل ثمن ما فعله غيرنا من الأفراد، وفي المقابل علينا أن نتجاهل ما تمارسه حكوماتهم وأفرادهم فينا!!.. إنهم يريدون من خلال بثهم أن يغيروا فكرنا ووعينا حتى نلعن أفراداً وجدوا فيهم أعذاراً لمحاربتنا بينما نرى منهم من يفعل فينا أكثر وأكثر، ونقبل ونتقبل بنفس حجتهم التي أقنعونا بها.. فنحن السبب.

إنهم يريدون أن يبثوا فينا قبول اتهامهم لنا نحن - أصحاب الموروث الثقافي الإسلامي - بالعنف؛ ويريدون إقناعنا بأن ديننا يقف وراء العنف وليس الأشخاص، ولأن "الدين " - كما يريدون أن يتهمونه وهو منهم براء - يحض على ذلك فلابد من إعادة النظر في هذا الدين.. إنهم عبر شاشاتهم وصحفهم وبرامجهم يدعون إلى ذلك كل يوم - ويعقدون المؤتمرات على الهواء مباشرة ويديرون الندوات على الهواء مباشرة - ويستدرجون حضرات المثقفين العرب إلى تلك البرامج للحديث

بهذا الخصوص..

ليس هناك من هو أعرف بهذا الدين من أهله - وهذا الدين الإسلامي - هو دين سلام في المحل الأول؛ أما ما يلصق به من تهم فهي سيناريوهات قد خرجت من أدراجها في الوقت المناسب تمهيداً لخروج الطائرات من مطاراتها والمدافع من مرابض نيرانها.

إنهم يريدون فرض كل شي على الآخر؛ ولأن هذا الآخر ضعيف وليس بوسعه المقاومة فإنه سوف يقبل ذلك صاغراً على الأرجح!!

لكن ذلك لم يحدث بين يوم وليلة - كان لابد قبل ذلك كله من إحداث شرخ مناسب في الجدار - ثم تصدع كبير.. ثم يسقط هذا الجدار من تلقاء نفسه.. ونتساءل: هل نفعل الصواب في تقوية هذا الجدار وتمتينه؟؟

هل دفاعاتنا حصينة؟؟ لا أظن - الأمر يحتاج منا - للأمانة والحق أن نعيد النظر في دفاعنا ودفاعاتنا ودفوعنا!!

لقد صار الاختراق بادياً مع دخول سياسات اللبان والجينز والوجبات السريعة والميل للنمط الاستهلاكي في كل ساعة من ساعات اليوم، ودخلت الأفلام والبرامج والأغاني والفيديو كليب لتجعلنا نتساءل - فردًا فرداً وأسرة أسرة: أي النموذجين أفضل؟!.. ونقع في ورطة الاختيار وتهتز القيم والمعايير ونظل أسرى هذا التساؤل: هم أم نحن؟!! ويوماً بعد يوم يسقط حجر

من الجدار ويزداد تمايلاً ونحن مازلنا نتفرج ونتساءل وكأننا لم نعرف بعد.

إن البث المباشر قد عمل مفعوله في الأسرة العربية من المحيط إلى الخليج: هناك شاب آخر غير الذي كان: وفتاة أخرى غير التي كانت.. بل وشيخ آخر غير الذي كان وشارع آخر غير الذي كان وواقع آخر غير الذي كان!!

ترى ما الذي حقق هذه النتائج؟!!.. إنها ليست الفانتوم أو الأباتشي.. لكنها ببساطة، وبدون تجني: أدوات البث المباشر!!

هناك من الواقع ما يستوجب الضحك ويدعو إلى الحزن - لأن شر البلية ما يضحك؛ هناك في متناول الإنسان جهاز "ريموت كونترول" التحكم من بعد، وهناك جهاز استقبال - وهناك الطبق الكبير " .. " DISH وهناك مئات المحطات متاحة أمام المواطن.. فلو أنه تفرج على كل محطة لمدة خمس دقائق لتمكن من القضاء على الأربع وعشرين ساعة التي منحه الله إياها - ليقضي عمره متنقلاً بين هذه المحطة وتلك دون ضابط أو رادع.. ويقول سعادة السيد المسؤول: نعم هناك المحطات.. لكن هناك أيضاً الحرية في أن تتفرج على ما تشاء - ناسياً إن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الجاهز للغواية والإغراء في أي وقت.

لابد من وجود " فلاتر " لتنظيم هذه المسألة وإلا لحصل العدو

"وهو عدو نموذجي" على أكثر مما يريد في أقل وقت ممكن.. بدون مدافع أو أساطيل أو صواريخ، وخلاصة القول في هذه المسألة أن شرخاً قد وقع في جدار العرب.. وأن هذا الشرخ جاري تصديعه ولم يبقى سوى أن "يسقط"؛ فهل نفهم ضرورة ترميم الجدار وتقوية دعائمه؟؟

الشاشات العربية،
مالها وما عليها

ليس هناك " شاشة " بدون القائمين عليها، أصحابها و مدراؤها، رؤساؤها، مموليها، ثم الذين يشاهدونها.

هل شاهدت برنامجاً للأطفال يحمل علامة الصناعة العربية؟! الإجابة هي أن كلنا ومعنا الأطفال قد شاهدنا تلك البرامج مصادفة أو لأي سبب من الأسباب. هل شاهدت الأطفال أنفسهم المشاركين في هذه البرامج؟ نوعية الأسئلة؟.. نوعية الإجابة؟.. نعم، هل تابعت ودققت النظر في اللغة المقدمة في هذا البرنامج؟.. نعم، هل لاحظت عمق وعبقرية الابتسامة المرتسمة بغير معنى على وجه مقدمة أو مقدم البرنامج؟.. نعم. هل شاهدت اهتمام المذيع بهندامه أكثر من اهتمامه بما يقول؟.. نعم، هل شاهدت المذيعة بملابسها الأنيقة واكسوارتها البراقة وتصفيفة شعرها وبنطلونها الضيق (جداً)؟.. نعم. هل دققت السمع لتتبين بصعوبة بالغة مخارج الألفاظ؟.. نعم. هل فهمت شيئاً مما حدث منذ مطلع البرنامج حتى نهايته؟.. هذه المرة.. لا.

إذاً لماذا كان البرنامج؟.. إنه الجنون بعينه أن تتساءل لماذا

كان البرنامج ! ! . إن الأطفال هم فلذات أكبادنا التي تمشي على الأرض ومن واجبنا الترفيه عنهم وتدليلهم وتثقيفهم وإمتاعهم وتعليمهم وها نحن نفعل - وبئس الفعل والفاعل ولا عزاء للمسكين - المفعول به - ذلك الطفل البائس.

إن الشاشات قد صارت هي المعلم الأكثر حضوراً والأوفر حظاً وجاذبية، لكننا لا نلقي بالاً حقيقياً لهذا الأمر. إنها مجرد ساعات إرسال وفراغات لابد من القضاء عليها. بعد ذلك حول نفسك إلى محطة أخرى "غازية غربية" تقدم برنامجاً للطفل ترفيهياً كان أو ثقافياً - شتان بين هذا وذاك - حيث أن الطفل نفسه - هذا الكائن البريء الذي يخلو تماماً من التعصب أو سوء النية.. سوف تجده أكثر تركيزاً وانجذاباً إلى البرنامج الأوروبي أو الأمريكي على الشاشة؛ وكأنه بفطرته ينجذب نحو الأفضل متجاوزاً في ذلك حاجز اللغة، ذلك العائق الكلاسيكي في قضية التعليم والإمتاع. ليس الأمر هنا أنهم يمتلكون تقنية أفضل فحسب؛ لا.. إنهم يعرفون ما يفعلون ويقومون بدراسات مستفيضة ويدخلون في مجادلات لانهاية لها حول - نقدم هذا للطفل أو لا نقدمه.. ومتى؟.

إذاً لقد انحاز الطفل صوب الأفضل - ومن ثم بوسع هذه الشاشات أن تشكل وجدان الطفل الذي مازال عجينة طيّعة قابلة للتشكيل.

من منا لم يشاهد حواراً بين عدد من المثقفين" أو المفترض

أنهم كذلك " على الشاشة لمناقشة أمر ما " دينيًّا - سياسياً - اجتماعيًّا - اقتصادياً - عسكرياً - تربوياً . . إلخ، أو أي أمر آخر من أول ضرورة الالتزام بآداب المرور حتى الحرب الدائرة رحاها الآن في أكثر من مكان لمطاردة "الخارجين على القانون" . . في أحدهما سوف تشاهد آداب الحوار - عدم مقاطعة الغير - الانتقال من نقطة إلى أخرى على نحو أكاديمي بسيط وصريح، بالإضافه لفصاحة في اللغة وحسن استخدام لها لافت للنظر . . لو أدرت مؤشرك إلى محطة أخرى لشاهدت عجباً . . إذ يفاجئك فاصل من الردح والتشاتم والتطاول يؤذي عين المشاهد وعقله، ترى هل يتفرج المرء على هذا أم ذاك ؟ ! الإنسان الراشد سوف يختار ذاك، ومن ثم قد صار تجنيده لقبول الرأي الآخر لمجرد أن الأداء الآخر هو الأفضل حتى لو كان السم في العسل.

خلاصة القول - أنه بعد أكثر من ثلث قرن على امتلاك تلك الشاشات لم يعلق بذاكرة الواحد منا برنامجاً أو برنامجين يمكن الإشادة بها، بل إن أفضل ما يفعلون لا يستأهل منا أكثر من القول على مضض "لا بأس" .

هل شاهدت فيلماً عربياً صنع في مصر أو في تونس أو في الجزائر أو في سوريا . . مثلاً، ثم شاهدت فيلماً آخر أمريكياً أو هندياً أو فرنسياً ؟ . . نعم، كلنا قد فعل ذلك والنتيجة ليست أبداً بحاجة إلى تعليق . . فمعظم أفلامنا تتسم بالسخافة والضحالة والضألة والغباوة والجهل واللامسؤولية وانتهاج

سياسة التوفير في الإنتاج.. فإلى أين يتجه المتفرج؟! إلى هناك.. ومن ثم نصل إلى نتيجة تقول أننا نوافق على الإساءة إلى أطفالنا وشبابنا وبناتنا ونساءنا، بل وشيوخنا - ربما بغير قصد - لكن المؤكد أنه صادر عن جهل شديد - وهنا تبدو المصيبة أعظم.

إن المقارنة في غير صالحنا ومن ثم وجب التسليم بأنهم الأفضل؛ لكن أليس لهذه الأفضلية في كل شيء من نهاية؟!

إن الشاشات هي ضيوف مقيمة معنا ليل نهار وإن غواياتها وزغللاتها وتحريضها لا يمكن حصرها، وإننا - إذا لم نستبدلها بشاشات أخرى بوسعها أن تقدم المعادل - نكون قد وافقنا على التبعية وأن نكون مطية إلى أبد الآبدين، وسوف نظل ليل نهار مجرد مستهلكين لتلك المواد ندفع ثمنها عن قناعة لا تخلو من آلام الخيبة لعدم القدرة على المسايرة أو المواجهة أو حتى نقترب قليلاً من هؤلاء الذين نعتبرهم رغم قصرهم " كبار القامة".

ولعل الجانب الأهم في استخدام التليفزيون هو السيطرة من قبل السلطة في الدول النامية على كافة وسائل الإعلام وأهمها بدون منازع هو "التليفزيون"؛ وهنا يكمن الضرر كما يستفحل الضجر.

ليس هناك خلاف على أن السلطة في تلك الدول " بغير استثناء تقريباً " لا تحسن استخدام هذه الوسيلة بل على الأرجح

فهي تستخدمها على هواها لبسط النفوذ والسيطرة، وليس خافياً على أحد أن هذه السيطرة المفرطة تصبح يوماً بعد يوم مدعاة للضجر والتندر والفكاهة وإلقاء النكات بصورة عفوية تعكس ما بداخل الناس.

دفاع عن النفس

جميعنا نعرف قصة المئتي ناقة التي شردت من أبي طالب واستولى عليها أبرهه عندما كان يستعد لهدم الكعبة.. فقد طلب أبي طالب مقابلة أبرهة - واستقبله أبرهة ظنّاً منه أنه قد جاء للتفاوض بشأن الكعبة.. لكنه عرف أن أبا طالب جاء ليحدثه في استعادة النوق التي شردت، مما استوجب دهشته حيث قال إنه قد حسب أن أبا طالب قد جاء سعياً للتفاوض بشأن الكعبة وليس من أجل النوق الشاردة.. لكن أبا طالب كان فصيحاً يعرف حدوده حين قال بأنه ما جاء لأجل الكعبة لأنه لا يقوى على حمايتها وقال قولته المشهورة: " إن للبيت رباً يحميه " كان الرجل على حق فيما يتعلق بالكعبة المشرفة المقدسة. إن الله قد حمى الكعبة من شرٍّ أبرهة وجبروته هو وأفياله المرعبة - إنها بيت الله. لكن الكلام هنا عن بيوتنا نحن وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نحمي بيوتنا من الخطر فكلنا راع وكلنا مسؤول عن رعيته، ولهذا علينا أن نحمي أنفسنا من هذا الوابل من الشرور الذي يتربص بنا.

قلنا فيما قلنا أن ما هو حادث الآن ليس مجرد صدفة

تاريخية، بل هو مخطط سديد وشديد ودنيء تم تفعيله وتوظيفه في غيبة منا - تشبه الغيبوبة، أما شاشاتنا فيكفيها الفرجة على شاشات الآخرين. الناس عبر شاشاتنا قد وقعوا في الأسر بين فكي الرحى.. بين شاشات معادية جميلة براقة وشاشات عاجزة لا تخلو من رتابة وحماقة.

لقد تكلم "هنري كسنجر" الثعلب الأمريكي الأشهر في النصف الثاني من القرن العشرين.. تكلم عما أطلق عليه صناعة التاريخ وصناعة الجغرافيا - ونقول صناعة التاريخ وصناعة الجغرافيا وليس صياغة التاريخ أو الجغرافيا.. لنحول دون أي خلط أو سوء فهم. نعرف ببساطة أن التاريخ هو ما قد حدث وفات ومضى؛ كما نعرف أيضاً أن الجغرافيا في أبسط معانيها هي تلك الحدود بين الدول التي تحدد أراضي كل دولة طبقاً لآخر المستجدات في الجغرافيا السياسية.. لكن السيد كسنجر " واسع الخيال والحيل والتحايلات " قد قفز فوق كل المعروف عن التاريخ والجغرافيا حيث قال لو أننا لم نفعل ذلك لحاسبتنا شعوبنا في المستقبل لأننا قصرنا حين كان بوسعنا أن ننجز شيئاً عظيماً. ودون إسهاب في هذا أو ذاك ندرك صراحة أن كسنجر كان يقصد ما يقول - لأن ما قاله قد وقع، ولم يكن يتنبأ بالغيب لكنه فقط كان يحسن مشاهدة الغد. ذلك لأن كل ما قال به قد وقع بالفعل. إن الواقع " الآني " الذي يصبح غداً تاريخاً هو عبارة عن سيناريوهات يقوم بها الأقوى والأعرف

فتصير بالتقادم واقعاً نطلق عليه التاريخ. لكن في هذه الحالة فإن صناعة هذا التاريخ هي فعل إرادي مدروس تدعمه الفضائيات العملاقة قبل المدافع والطائرات. كما أن الجغرافيا الآن أصبحت مجموعة خرائط قد أصابها تعديلات لا حصر لها لخدمة مصالح الفاعل وسوف تستمر هذه السيناريوهات من الآن فصاعداً - فيما يبدو حتى يأتي الله بأمره فيكون شيء آخر، ولأن صناعة تاريخ لا تكفي وحدها وصناعة جغرافيا لا تكفي بمفردها كان لابد من صياغة وصناعة رأي عام بالقوة إذا لزم الأمر. ليس خافياً على أحد شكل وصفة التآمر التي تقف في مقدمته والدعاية له والإشادة به تلك الفضائيات السابحة في الهواء بكل لغة وصوت ولون.

الأمر إذا واضحاً وضوح الشمس ويستلزم دفاعاً صريحاً عن النفس وعن الوجود وعن الهوية. لكن كيف بوسعنا الدفاع عن النفس؟.. إن المسألة هائلة ومعقدة؛ إذ أنها ليست معركة مفهومة، محددة الملامح يخرج منها أحد الأطراف منتصراً والآخر مهزوماً؛ إنها معركة مصير ومستقبل تتطلب الفعل المدروس والواعي لمجابهة تلك المخططات الجهنمية التي تعبث و تلوث ماضينا وحاضرنا وتمس بشكل مباشر مستقبلنا.

لقد صار الواقع العربي أكثر مرضاً وتشتتاً وهزالاً من أي وقت مضى برغم ملكيته لأدوات وإمكانات لاحصر لها بوسعها - في حال استخدامها على النحو الأمثل أن تضعه في الصفوف

الأولى ؛ لكن ذلك يتطلب وعياً شديداً وإيماناً راسخاً وضرورة الإجابة على السؤال الأبدي "نكون أو لا نكون" .. وفترة الحضانة لتلك الكينونة أو عدمها في عمر الشعوب قد تستغرق من الوقت الكثير .

لقد وصل التغلغل حداً يدعونا إلى الضحك أحياناً حين نجد إعلاناً يذاع على كل الفضائيات والمحليات - يحاول أن يقنعك أن ذلك المنتج الأجنبي ١٠٠٪ هو عربي ١٠٠٪ وأن ذلك الهدف الأجنبي جاء لخدمتك ومن أجل دعم عروبتك ١٠٠٪ ، فهل يمكن أن تكون صنعاء أو دمشق أو الجزائر أمريكية ١٠٠٪ !! إن ذلك قد حدث لأننا ساهمنا في حدوثه ولعلنا نتوقف عن لعن هذا الزمن لأننا بذلك نتناعم أسلوب النعامة "ونتغانم" موقف "الغنم" ونعيب زماننا والعيب فينا .

إذاً .. مما تقدم يتضح ما يلي :

١ - إن البث المباشر عبر الفضائيات قد صار واقعاً ملموساً لا يمكن إنكاره كما أنه لا يمكن تفاديه أو تجنيه وليس أمامنا سوء العشم بأن نرشده .

٢ - إن حجم الغواية فيه يبعث على القلق - لأنه يقدم لنا واقعاً مدهشاً يدعو إلى الحيرة وربما الخوف .

٣ - إن هذا النوع من الغواية - يتم بعضه مصادفة - والبعض الآخر لا يخلو من قصد أو سوء نية .

٤ - لم يعد خافياً أن هناك مخطط مدروس للغزو عبر

الفضائيات وتجهيز المنطقة العربية لاستقبال رؤى الغير وآراءه.

٥ - إنهم يضمرون الشر - بمحاولاتهم التي لا تنتهي لتهميش الثقافة العربية - والإسلامي منها على وجه التحديد ويطالبوننا صراحة بإقصاء هذا المعنى أو ذلك التوجه الديني.

٦ - إنهم يفعلون ذلك حسب خطة مدروسة ويستفيدون كثيرا من تعاملنا مع المسألة ببساطة تصل إلى حد الاستهتار.

٧ - إن شراستهم في الهجوم قد تركت حيزاً بسيطاً من إمكانية الدفاع وهامشاً لا يذكر لإمكانية الرد.

٨ - نحن في غفلة من الزمن قد سمحنا بهذا التغلغل داخلنا حتى صار الشباب في غربة واغتراب فلم يعد بوسعه أن يتماسك فصار قابلاً للتصدع والانهيار.

٩ - إن الثقافات المقحمة والدخيلة والوافدة عبر البث الفضائي هي في الأغلب الأعم ثقافات مريضة مهلهلة، يعاني أصحابها من كل أنواع الأمراض النفسية وأنهم ينفقون مليارات الدولارات على العلاج النفسي والمهدئات والمسكنات والمخدرات، وأن نسبة حوادث الانتحار هناك تدعو الى الفزع بل إن خطها البياني مرشح للتصاعد.

١٠ - إن العميان - الذين لا يبصرون ما حولهم وليس بوسعهم أن يتقدموا خطوة واحدة دون مرافق أو مساعد ه م الأكثر أماناً لأنهم - لحسن حظهم لا يشاهدون؛ لكن ليس مطروحاً أن نصاب بالعمى أو نتمناه.

١١ - إن الجري وراء المال والكسب السريع فوق جثث البشر وجماجمهم ونفوسهم وعقولهم ومستقبل حياتهم هو الذي يجعل من تلك المحطات بالمئات تبث يومياً آلاف الساعات من - العهر - وتصدر إلى مجتمعاتنا كل ما تنبذه قيمنا وديننا ؛ كنبذ القيم وتبيان الحالات الشاذة على أنها واردة وممكنة كالزواج المثلي ونوادي تبادل الزوجات ونوادي العراة إلخ . . .

١٢ - ليس خافياً على أحد أنهم يروجون لسياسات البلع والاحتواء والاستحواذ ؛ كما أنه ليس خافياً أيضاً على أحد إن دفاعاتنا محدودة وكسولة ومتراخية وغير جادة وتخلو من أي تخطيط علمي مدروس.

١٣ - إن الوقوع بين فكي الرحى هو حالنا . . البحر من أمامنا والعدو من خلفنا - فإلى أين المفر ؟

١٤ - إذا ما افترضنا جدلاً أن الجيل الحالي من الشباب العربي مازال قادراً على الاختيار والانتقاء لأن آثار ثقافته الأم مازالت عالقة به فما هو الحال في حالة طفل اليوم - الذي هو الشاب غداً الذي هو رجل بعد الغد الذي هو شيخ ما بعد بعد الغد ؟ . . إن هذا الطفل ينتظره مستقبل قد صنعته الفضائيات بالكامل ولم تصنعه المدرسة أو البيت أو الثقافة السائدة في المجتمع ، إن هذا الطفل الذي يجب أن يكون " واعداً " ومبشراً بمستقبل أفضل يعاني انقساماً حاداً في تركيبته النفسية منذ اللحظة التي يتنبه فيها إلى وجود شاشة في البيت عليها صور تتحرك ،

حيث أنه يقضي معظم أوقات حياته أمام الشاشة وهو يشاهد كوكتيلاً عجيباً من العرى والخيانة الزوجية والسرقات المسلحة وصور المجازر الحربية في كل مكان . . ترى أي طفل سوف يكون هذا النتاج العجيب من كل تلك الأشياء الضاغطة عليه ليل نهار وهو يتفرج فاغراً فاه في براءة وبلاهة وسعادة ؛ إنه مسكين في طفولته ، متوتر تائه مغترب في شبابه . . . وحتى آخر المشوار .

١٥ - عرفنا كيف إن ثقافات قوية مثل اليابان والصين وفرنسا إلخ وهى التي كانت ومازالت تشكو من محاولات أمركتها - عرفنا كيف نجت هذه الثقافات من كل محاولات الغزو - وأنها قد أخذت ما يحلو لها وتركت ما يسيء إليها - ولاشك إن هذا النوع من الدفاع عن النفس لم يكن مصادفة ولم يكن سهلاً - لقد كان دفاعاً منظماً ومدروساً بعناية فائقة من قبل أولى الأمر هناك .

١٦ - إن هذا الأسلوب في تعامل السياسات الفضائية مع العالم العربي لم يتوقف بل هو مرشح للزيادة ومحاولة الترسيخ حسب برنامج قد أعد سلفاً - " لاحظ عدد المحطات التي استحدثت باللغة العربية والتي بدأت بإذاعة سوا "SAWA" التي يحمل معناها أننا نحن وهم معاً في الهوا سوا . والهدف من ذلك هو المباشرة المغطاة فهو يقدم لنا الأغاني بوفرة كما يقدم نشرات الأخبار الملغومة بوفرة - لكنه يدعي الحياد والرزانة ، وكما يقول المثل " مين يشهد للعروسة . . " .

هذا هو عالم الاحتراف الجديد الذي مازلنا نتفرج عليه دون محاولة جادة للتصدى - بل والأدهى من ذلك أننا في بعض الأحيان شركاء فيما يحدث.

١٧ - ليس من الإنصاف إن نقول بأن ذلك قد حدث بين عشية وضحاها - أو إن ذلك قد انتشر بالقوة الجبرية - لا - لقد انتشر ذلك واستشرى لأن شاشاتنا لا تجد ما تقدمه للمواطن على مدار الساعة - فيكون من الأسهل شراء منتجات الغير، وقبول ما يقدمه الغير، وتتبع ما يقدمه الغير.. لأن ما تنتجه تلك المحطات في الغالب يعد عاراً من الناحية الفنية إذ ليس هناك محطة واحدة - إلا في النادر جداً - بوسعها أن تنتج عملاً درامياً يرقى إلى مرتبة الإبداع الحقيقي؛ بل إن ما تنتجه هذه المحطات في الأغلب الأعم يدعو إلى الخجل مما يجبر المشاهد على الهجرة إلى محطة أخرى حيث يجد هناك ما يعجبه ويسليه و يمتعه وقد يفيده.

١٨ - إن الأسرة العربية قد اختل توازنها، ولأن الأسرة هي النواة الأولى لأي مجتمع فمن الضروري لهذه الأسرة أن تعرف ما يشاهده أفرادها.. لكن - وللأسف الشديد فإن تصدعاً قد أحاق بهذه الأسرة. هذا يريد الفيلم وهذا يريد المسلسل، وهذا يريد مباراة في كرة القدم، وهناك من ينتظر في تربص حتى ينام الكل لينفرد في سعادة بإحدى المحطات المشفرة بأرقام سرية يعرف معظم أفرادها تلك الأرقام السرية دون أن يعرف الآخر

ذلك، وصار في داخل الأسرة أحزاب صامته يتوارى كل منهم بعيدًا عن الآخر ويرغب في قرارة نفسه بإزاحته عن طريقة حتى يشاهد وحده ما لا يمكن مشاركته فيه. إن رب الأسرة يعرف ذلك وربة البيت تعرف ذلك - لكن الكل في تآمر مخجل وحزين يلزم الصمت أو يدعى الحياد إكباراً منه لقيمة فارغة اسمها حرية كل واحد.

١٩ - لقد صار مألوفاً بين الشباب المباهاه بما لديهم من محطات تعرض كل شيءطوال الوقت ومن ثم يصير ترتيب المواعيد واللقاءات حسب نوعية تلك البرامج.

٢٠ - ليس خافياً على أحد إن مثلث الرعب عبر معظم الفضائيات هو الجنس والمخدرات والعنف تتم تغذيته بكفاءة عالية وكثافة مدهشة وليس غريباً أن تنمو تجارة المخدرات في رواج شديد برغم كل محاولات التصدي.

٢١ - هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن عنكبوتية السياسات الفضائية الخبيثة تنزع ناحية الشر والسرقة المباشرة من جيوب المستهلك.

وأخيراً.. ربما بدونا على قدر كبير من التشاؤم فيما يتعلق بمحاولات الصد والدفاع عن النفس.. لكننا نذكر بأنه لا يمكن القول بفوات أوان إمكانية ذلك وإذا ما قلنا باستحالة التصدي أو الموجهة نكون كمن ألقى بالسلاح بصفة نهائية لأنه يرى في القتال عبثاً وفى المقاومة استحالة. هناك بغير شك إمكانية

للتصدي إذا ما خلصت النوايا ؛ لكن المشكلة في تحديد تلك النوايا . ترى هل هي نوايا الحكومات والقائمين على الأمر ؟ . . نحن لا نرى جهة أخرى بوسعها أن تخطط لذلك - أي حكومة- عليها أن تعرف أن رعاية رعاياها هو هدفها الوحيد والسبب الأوحد لوجودها ممسكة بدفة الأمور . لكن الخشية تكمن غالباً في فقدان الدفة ومن ثم فقدان الطريق .

لكن . . ماهو العمل إذا ما كانت تلك الحكومات قد حسمت الأمر على أنه لا داعي لخوف أو القلق وأن كل فرد هو حر فيما يختار وفي تلك الحالة تكون هذه الحكومات قد توقفت عن أداء مهامها بأمانة وأن أسباب وجودها - وهو رعاية مواطنيها قد أطاحت به الريح ؛ ذلك لأن استمرار أو بقاء الحال على ما هو عليه سوف يؤدي بالضرورة إلى ما يدعو إلى الندم حين لا ينفع الندم .

فصل الختام
والرقص على الجليد

القول الفصل في هذا الموضوع هو : أنهم شيء ونحن شيء آخر ؛ ولأننا نحاول دوماً بالقول أو بالفعل أن نجبر الآخرين . . أي آخرين على تبنّي أسلوب حياتنا ؛ لكنهم لا يتوقفون لحظة من ليل أو نهار إلا ويحاولون فعل ذلك .

إن البث الفضائي القادم من " هناك " - سواء كان يحمل فيلماً أو مسلسلاً أو برنامجاً أو حواراً . . أو طرحاً لأفكار لا يصدر إلا عن توجه عام قد ساد في السياسة والفكر السياسي - وما الفن إلا واحد من هذه التوابع . . إنها أحادية UNILATERALISM قد صارت هي الدين الغربي بشكل أو بآخر ، وليس بمقدور أحد أن يدعي بتلك الأحادية بدون الظن - أو اعتقاد ؛ أصاب فيه صاحبه أو أخطأ - بأنه متفوق في كل شيء وله الغلبة في كل أمر . وليت الأمر يتوقف عند ذلك الحد بالظن أنه أكثر تفوقاً - إنه يتحرك خطوة كبيرة جداً إلى الأمام ويفرض عليك أن تقبل بما قد آتاك به . . هذا سخف ليس هناك ما هو أشد منه سخفاً ، لكننا قد تعودنا منذ العهود الأولى للاستعمار الغربي للشرق أن نقول " اللي يجي من الغرب لا يسر القلب " وليس من قبيل العبث أن يصبح هذا المعنى مثلاً شعبياً مقبولاً مما أفضى بشاعر العامية صلاح جاهين أن يقولها صراحة :

ما تغمضوش عن وحوش الغرب ولا ثانية
تطلع وحوش الإنجليز ترجع وحوش ثانية

نحن لا نعاني من عقدة الاستعمار كما يحلو للبعض أن يتشدق ؛ وليس هناك ما يسمى رُهاب الاستعمار - " أي الخوف المرضي من الغرب

بصفة عامة لسجله الاستعماري البغيض - مثل الخوف من الأماكن المغلقة.. والخوف من الأماكن المرتفعة.. إلخ " إنه ليس خوفاً.. إنه يقين.. إنه يقين لأنه لم يتوقف لحظة واحده عن التواجد بصفة أو بأخرى؛ وكأنه مقدر لهم أن يكونا جاثمين فوق صدورنا.

إنهم ببساطة - عبر بثهم " المرعب المزركش " يريدون منا أن نعبد الإله الذين صنعوه، وهو يؤلهون المال والعري والربح المتصل بصرف النظر عن أساليبه.. وليس لنا أن نجعل لنا إلاها إلا الله وأن نتبع إلا ما أمرنا الله إن نتبعه، وسنكون كذلك بمشيئة الله رغم أنوفهم.. إن إشعال الحروب " التي تمهد لها الفضائيات حين يلزم " ليس حباً في الحروب في حد ذاتها وإنما عشقاً لمصادر السلاح التي تشكل أدوات القتل الاستعماري الجديد. وليس هناك من فصل أو فاصل بين السياسة والترويج لها وبين بيع السلاح وإشعال الحروب. ليس طبيعياً أن تغلق مصانع السلاح أبوابها ويصبح عمالها ومهندسيها " مخططيها عاطلين عن العمل.. مستحيل، ولأن هناك " منتج " اسمه السلاح فإن هذا السلاح لابد من بيعه وتسويقه والتلويح به كقوة تكنولوجية هائلة ليس بوسعنا أن نتحداها. ومن الغباء المطلق الفصل بين صناعة السلاح وبيعه والترويج للحروب وبين " التمهيد والفرش " أو الإعداد التليفزيوني الذي يبرر ذلك، ولعل التوجه العسكري الجديد بتمهيد الإعلام وتبريره لكل حرب تقوم بها تلك الدول ضدنا.. خير دليل على أن الحرب الإعلامية أصبحت جزء مهم من تلك الحروب وأصبحت جزءاً مهما من تلك القوى - الأقنع -. حين ينتهون من صناعة طائرة جديدة أو صاروخ جديد أو دبابة متطورة تنشط كاميراتهم وبرامجهم على كل الفضائيات للإعلان عن هذه الأسلحة كأنها مشروبات غازية أو ساندويتشات الهامبورجر، وطبعاً هم يوهموننا أن تلك الأسلحة التي تحقق الدمار الشامل صنعت من أجل حمايتنا من أسلحة الدمار الشامل الوهمية.

البعض يرى أن هذا أمر.. والآخر أمر آخر. أبداً. إنها سلسلة واحدة من العنفوان والعنف المقصود لفرض سيطرة القوى على الضعيف -

فيصير القوي أكثر قوة ويزداد الضعيف ضعفاً ! !

هناك مقاومة تكاد " تذكر " ولا نقول مقاومة لا تذكر لهذا المخطط الفضائي الذي توغل في داخلنا وصار هاجساً يومياً لدى الكثيرين ! !

وبما أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الأكثر حظاً في العالم - حيث تحتل أكثر من ثلثي صفحات الإنترنت البالغ عددها ما يربو على أربعة مليارات صفحة.. ولما عرفوا جيداً أن شعوب الشرق الأوسط لا تعتبر الإنترنت مصدراً للمعرفة أو المشهادة - كان من الضروري أن يجدوا الوسيلة الأسهل والأكثر جاذبية ؛ فبدأ الأمر بمحطات تذيع الأغاني ليل نهار - ومع الأغاني تتسلل الأخبار ! ! ولما كان الراديو قد صار وسيطاً ضعيفاً كان لابد من إلحاق محطة تلفزيونية أخرى ناطقة باللغة العربية ؛ وجاءت قناة سوا ، ثم جاءت القناة الجديدة التي لم يجدون لها اسم مناسب أكثر من ALHURRA الحرّة ! !

وليس خافياً على أحد من مشاهدي التليفزيون لماذا سميت حرة ؟ ؟ فهي محطة ناطقة باللغة العربية واختاروا لها هذه الاسم لأنهم يريدون أن يؤكدون لمشاهديها أن العرب لم يعرفوا بعد معنى الحرية - لا يعيشونها و لا يعرفونها ولا يقبلون بها.. وها هي "الحرة" قد جاءت منحة من الغرب لتعلمنا ذلك ! ! إنهم يدفعون أموالا طائلة لكي يتحرر العرب المسلمون ويتوقفون عن جهالتهم وتخلفهم إلى ما شاء الله. ليس من بينهم واحد - واحد فقط قد عرف شيئاً عن الدين الذي تدين به تلك الشعوب ! ! ، إنه الدين الأمثل في الحرية وآدابها. وليس الحرية وعريها وسوقيتها ورخصها وفجورها.. إنه الدين الذي يعنى مباشرة وصراحة بالأب والأم والأقارب والفقير والكبير والعاجز وحتى بالجار..إلخ.. كل تلك القيم البسيطة والعميقة يريدون منا استبدالها بالحرية الجديدة ! !

ولما لم تؤت " "SAWAو "الحرة" ثمارها كان لابد من البحث عن مخرج آخر أو مدخل آخر - فزرعوا لدينا برامج للشباب لذيذة ومسلية وسطحية.. وتافهة ؛ مثل " THE BIG BROTHERالأخ الكبير " ثم

سقم وسخف آخر اسمه STAR ACADEMY وكانت تجربتان مخزيتان - حتى وصل الأمر إلى إصدار أوامر حكومية صريحة لإيقاف برنامج BIG BROTHER فورا لإيقاف ذلك البث الخليع الذي كاد أن يصبح نموذجاً لحياة الشباب - ثم تظهر إحدى القائمات على البرنامج وهي دامعة العينين.. حزينة.. مكلومة.. تعلن أن " الناس لم تقدر جيداً براءة الخطة وعبقرية وموهبتها في إنتاج مثل هذا العمل " الفج !!

لقد قامت الأبحاث الغربية بتجارب شبه ناجحة في موضوع " الاستنساخ " CLONING وقد استغرقهم هذا العمل عشرات السنين حتى خرجت العنزة " دوللي" إلى الوجود ثم تبعها خنزير آخر ثم محاولة بشرية" مازالت موضع شك " !! لقد حرضهم هذا النجاح على إعادة النظر في استنساخ عدد بسيط من الحيوانات إلى توسع رقعة " قصة الاستنساخ " ومحاولة استنساخ مجتمعات بكاملها عن طريق البث الفضائي المدروس جيدا !!!

إن الفضائيات كلها - بغير استثناء تقع في هذا المحظور دون أن تدري وهذه مصيبة ؛ وربما أن البعض الآخر يفعل ذلك وهو يدري.. وهنا تبدو المصيبة أعظم.

إن استنساخ مجتمعات بكاملها ليس هو سوى مشروع الشرق الأوسط الكبير. وكيف تظن أن بوسعهم التحضير لهذا المشروع؟؟ إن ثلاثمائة أو أربعمائة مليون بنى آدم ليس بوسعهم جميعا أن يتوجهوا إلى معامل التجارب لكي ترفع من أدمغتهم خلاياها التي تعد بالبلايين ليوضع بدلا منها " جهاز صغير " يقوم بعمل الدماغ كما يراه القائمون على الأمر..

ما هو الحل إذا؟!!.. الحل هو في صناعة عدة أفلام مثيرة وجبارة وملتهبة وعارية ومتقنة الصنع تفيد.. بأن " الإنسان " القادم هو نوع متميز من البشر.. وأن إنسان الشرق الأوسط مازال بعيداً عن هذا التميز ومن ثم عليه بقبول تميزنا ؛ وليس مجرد قبول التميز المقترح - بل " أن نصبح نحن - هم " وإلى جانب تلك الأفلام هناك فلاسفتهم وكتابهم

وعملائهم الذين يروجون لذلك - وتصل بعض وقاحات تلك الكتابات والبرامج إلى المطالبة الصريحة بتغير الخطاب الديني RELIGUS - DISCOURSE بل ويذهبون إلى أبعد من ذلك مطالبين بعدم تدريس بعض الآيات القرآنية التي تذكر " مجرد تذكر " طبيعة اليهود أو الآيات التي تتعرض إيذائهم وقتلهم للأنبياء على مدى تاريخ طويل وقد تناسوا تماماً الفظائع والمجازر التي قاموا بها وتفاخروا بها كما ترد نصوصهم في التلمود "TALMOD" حوظة: التلمود ليس كتاباً سماوياً وإنما تحريفات على هوى مصالح اليهود " حيث يأمر اليهودي بضرورة قتل الآخر لكي يحل محله هكذا، وببساطه التلمود يحرض على قتل الغير وينبه بأنه لا فلاح لأي يهودي في أي عصر إلا إذا قتل غيره أو شرده أو آذاه. نحن مطالبون بتغير خطابنا الديني. كم هم مهذبون هؤلاء؟. لماذا لا يقولونها صريحة.. بدلاً من أن نغيّر الخطاب الديني - لماذا لا نغير ديننا ونلجأ لدينهم... أو نصبح لا دينيين على الإطلاق ومن ثم نصبح معهم " أخوة في الأديان " إن كل الحركات السياسية في العالم على امتداد التاريخ كان لها فلاسفتها والدعاة لها والمروجين " أصحاب الزفة " . لكن ذلك كان يستغرق سنوات عدة وعشرات الألوف من المقالات والكتب. الآن - صار الأمر سهلاً بل مسلياً. مجرد برنامج تليفزيوني واحد " متقن الصنع" يتم بثه في ساعة واحدة على أكثر من ألف محطة فضائية فيصبح الناس اليوم على غير ما كانوا بالأمس. ربما أن هذه " الحيلة " لا تنطلي عليّ ولا عليك لكنها بالقطع سوف تفلح مع آخرين؛ فتدور عقولهم وترتبك نفوسهم ويتخبطون من الآن فصاعداً بين هذا القول وذاك؛ كما يبدأ نوع من الشك يداخل المشاهد وتصير حياته اليومية أرجوحة، تارة في الأعلى وتارة في الأسفل؛ وتكون المحصلة هي فقدان للاتزان وحيرة و بلبلة قد تفضي به في آخر المطاف لاختيار الأسهل أو الأجمل - وبذلك قد يكون قد دخل في دائرة المتنخين دون وعي منه ودون قصد - لكن الفاعل كان " يقصد " جيداً ما يرمي إليه.

هذه هي القرية الصغيرة التي صار العالم عليها بفعل الفضائيات،

وهذا هو العالم الجديد الذي لا يوجد فيه موضع لقدم لأي من البشر الذين يرون غير ما يرى السيد الفاعل.

إن السيد الفاعل يتحرك من نظرية " ضرورة التصيّد " التي تقول بأنه الأفضل وأن الآخرين الموجودين معه فوق هذا الكوكب سوف يظلون حجر عثرة في طريقه ومن ثم وجب إعادة صياغتهم كما يبتغي - ومن ثم أيضاً وجب تغيرهم بالقوة التليفزيونية الجبارة - وخطة بعد الأخرى ترى أن الأمر ليس "تغيرا " بل مجرد تشويه لما نحن عليه. تماما مثل الرقص على السلالم - فلا أنت هنا ولا أنت هناك - أنت مجرد مسخ شائه فتصبح مفصولاً عن واقعك طمعاً في الاتصال بواقع آخر لا يناسبك.

أما وأنت على هذا الحال من البلبلة فمن السهل جداً أن تترك زمام أمرك لغيرك " أي غيرك " والأدهى من ذلك كله فإنك مطالب بأن تحب هذا الغير وأن تغير حياتك من أجله وأن تقدم له جزيل الشكر لأنه معني بأمرك ومهتم بسعادتك - و إذا لم تفعل ذلك فأنت جاحد وناكر للجميل.. ومع ذلك فإن لديهم أساليب بديعة للردع إذا ما حاولت المقاومة أو الدفاع.

وبعد.....

نحن الآن في مفترق طرق. هل ضاع منا الطريق؟!! وهل - في بحثنا عن الطريق يجوز أن نسلك طريقاً آخر هو طريق هؤلاء " الآخرين " أصحاب سوء النية والقصد؟. تكمن المشكلة في أن محطاتنا الفضائيه قد اندفعت بلا ضابط أو تعقل في تقليد الفضائيات الغربية - بل ومحاولة مناطحتها والتفوق عليها. لقد تم استدراجنا إلى الغابة - بدون رؤيا واضحة - لكي نقع في الفخ أسرى لهذا الهوس المسمى بالمتعة عبر التليفزيون.

وآخر ما نقول به في هذا الموضوع نكتة.. نعم نكتة - وحذاري أن يظن واحد - أي واحد بأن النكات قد صنعت من أجل الضحك فقط، لقد نشأت النكتة تلقائياً لكي تصيب هدف ما في عمق وفكاهة.

النكتة تقول : - بعد مشاهدة عدة مباريات لهوكي الجليد ومسابقات ممتعة للرقص والتزحلق على الجليد طلب طفل صغير - لم يتجاوز العاشرة من عمره - من أباه أن يتزحلق على الجليد هو الآخر مثل كل هؤلاء الذين يتزحلقون على الجليد - قال الوالد ببساطة : أن ليس لدينا جليد ، لكن الطفل عاد يسأل : نحن لسنا أقل من غيرنا فلماذا لا يوجد لدينا جليد ؟ قال الوالد : أن الله له حكمة في ذلك فلدينا صحراء ورمال بدلاً من الجليد - لكن ذلك لم يعجب الطفل .. وسأل : لماذا ليس عندنا جليد ؟.. ويجيب الأب : بأنها مسألة كتبها الله لعلمه وحكمته ، هذا حظه جليد يتزحلق عليه والآخر حظه رمال . ومرة أخرى يسأل الطفل : ولماذا لا نكون كغيرنا ؟.. أليس بوسعك يا أبي أن تجلب لي ولإخوتي بعض الجليد لنتزحلق عليه ؟ ولما أفاد الأب بصعوبة هذا الموضوع فاض الكيل بالطفل وطلب من أبيه أن يذهب به إلى حيث توجد الثلوج وهدد بعدم الذهاب إلى المدرسة والإضراب عن الطعام وعدم إطاعة والديه إذا لم يحقق له الأب مطلبه ... والسلام

تم بحمد الله

الفهرس

الإهداء ٧

المقدمة ٩

الإرهاب الإعلامي على الوطن العربي ٢٥

نحن... ..... ٣٥

البث المباشر عبر التليفزيون ٤١

خلق ثقافة عالمية موحدة أو عولمة الثقافة ٤٧

مجلس إدارة الدش داخل الأسرة الواحدة ٥٩

التليفزيون والشباب ٩٣

الوقوع في الأسر وسذاجة حسن النية ٩٩

الوقوع في الأسر.. وعنصر الغفلة التدريجي ١٠٥

نظرة على الآثار السلبية للبث المباغت - المباشر ١١٧

الاحتشام.. في ذمة التاريخ!! ١٢٣

الرأي والرأي الآخر.. أو الرقص والرقص الآخر.. ..... ١٣٣

الجريء والجميلات ١٤١

ما هو البث المباشر.. وكيف أتى؟ ١٥٩

كيف تطور النظام الفضائي العربي.. وهل تطور!! ١٦٩

الجدل المثار حول تأثير البث الفضائي في المنطقة العربية ١٧٩

الاغتراب الثقافي ١٩١
موجز طويل... شرخ في الجدار العربي ١٩٧
الشاشات العربية ما لها وما عليها ٢٠٩
دفاع عن النفس ٢١٧
فصل الختام والرقص على الجليد ٢٢٩
الفهرس ٢٣٩